الرسالة



العدد ١٩٢

٨ مارس سنة ١٩٣٧

السنة الخامسة

5 me Année, No. 192

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 8 - 3 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

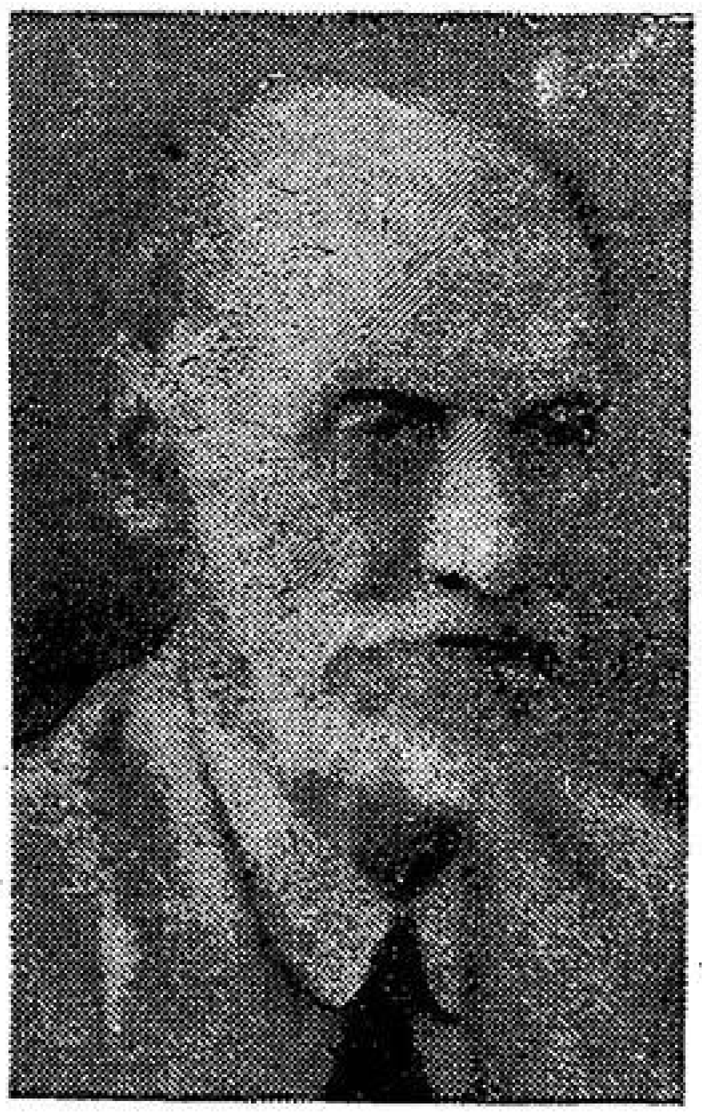
الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العـــدد ١٩٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣٥٥ — ٨ مارس سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

جميل صدقى الزهاوى

بمناسبة ذكراه الأولى



من حق الزهاوى على (الرسالة) وهى ديوان العرب وسجل الأدب أن تقف على ذكراه العظيمة الأليمة وقفة الذاكر بالجميل تحيي بنثير الورد خلود مجده ، وتحيي بنثير الدمع مصاب فقده : فلقد ساعد على إنهاض العرب بوثوب فكره . وعلى إحياء الأدب بوميض روحه ، وعلى إنعاش (الرسالة) بعيون شعره . ومن حق الزهاوى على صاحب الرسالة أن يقوم فى هذه المناسبة فيفرغ فى سمع الزمان الواعى هذا الحديث الذى يتسم على ما أظن بخبرة الصديق وثقة المطلع ونزاهة المؤرخ ؛ فإنى ما ذكرت العراق إلا ذكرت فى أول أشيائه

فندق (كارلتون) ، وفى أول أشخاصه شخص الزهاوى ؛ ذلك أن أول مكان لقيت فيه العراق هو هذا الفندق ، وأول إنسان سمعت منه العراق هو هذا الرجل !

كنت جالساً فى بهو هذا الفندق صباح اليوم الثانى لقدومى بغداد ، أروض قلبى على روعة الفراق ، وأذنى على لهجة العراق ، وعينى على غرابة الصور ، وإذا بأحد النُدُل يلق إلى بطاقة كتب عليها (جميل صدقى الزهاوى) ، ولم تكد تلوح فى مخيلتى صورة الشاعر التى صورها السماع والقراءة ، حتى رأيت على باب البهو شيخاً فى حدود الثمانين قد انخرع متنه وثقلت رجله ورعشت يده فلا يحمل بعضه بعضاً إلا بجهد

أقبل على يتخلج على ذراع غلامه وقد انبسطت أسارير جبينه العريض وانفرجت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة نضرة عذبة ، ثم سلم على تسليم البشاشة بيد مرتجفة ، ورحب بى ترحيب الكرم بصوت متهدج ، ثم انطلق يشكو جحود الأمة وإغفال الدولة وكيد الخصوم وإلحاح المرض ، وتطرق إلى خصومته عامئذ مع الأستاذ العقاد فذكر — والأسف المر يكسبه لهجة المظلوم وهيئة الشهيد — كيف استغلها من سدد خطاه فى الشعر ، وأرجف بها من تولاه بالرعاية ؛ وحمد الله على أننى جئت بدله فقد كان وجوده كما كان يظن تأليباً متصلا على فضله ، وإزعاجاً مستمراً لسكناته

لم يدع لى الزائر الكريم فرجة بين كلامه الدافق أدخل عليه منها بالتخفيف والتسرية ، فان الزهاوى - كما علمت بعد - ديدنه أن يتكلم ، كالبلبل خاصته أن يغرد ، والزهر طبيعته أن يفوح ؛ فهو فى مجلس الصداقة شاك أو شاكر ، وفى مجلس الأدب محاضر أو شاعر ، وفى مجلس الأنس مفاكه أو محدث .

كان الشيخ يتكلم أو ينشد ونبراته المؤثرة ، وقسماته المعبرة ، ولحيته الخفيفة المرسلة ، ووجهه المسنون الأعجف ، وشاربه النائم على فمه الأهرت ، وعينه البراقة تُرأرىء من خلف المنظار ، وشعره الشمط يتهدل على نتوء الصدغ ، تخيَّلُ إلى أن طيفاً من أطياف الجدود ، أو نبياً من أنبياء اليهود ، قد انشق عنه حجاب الزمن فجاة فى هذا المكان الصامت والنور القاتم والجو الغريب ؛ ولكن الحيوية التى تنبض فى حركاته ، والشبيبة التى تفيض فى كلماته ، والعزيمة التى تضطرم فى نظراته ، كانت تطرد هذا الخيال وتجعلنى وجهاً لوجه أمام (كتلة) من الأعصاب القوية المشدودة تتكلم وتتألم ، وتثور وتهدأ ، وتسخط وترضى ، وموضوع مقالها وانفعالها لا يخرج أبدا عن (الأنا) إذا صح هذا التعبير

***

دأبت (عربانة) الشيخ بعد ذلك على أن تقف أمام منزلى صباح يوم الجمعة من كل أسبوع . فكنت أستقبله استقبال العابد المتحنث للكاهن الملهم ، ثم نقضى ضحوة النهار معا يحدثنى فأعجب أو ينشدنى فأطرب ؛ وقد تكون أذنى إلى فمه وليس معنا ثالث ولكنه يجاهر بالالقاء ، ويصور المعنى بالصوت والايماء ، حتى يدهش المنزل وينصت الشارع . وهو بين الفترة والفترة يعود إلى شكاته وشكواه ، وأظل أنا أمام هذا الجبشان الروحى ساهما حالما أفكر فى الذهن الذى لا يكل ، واللسان الذى لا يفتر ، والزهو الذى لا يتطامن ، والطموح الذى لا يتقاصر ، والقلق الذى لا يسكن ، والتمرد الذى لا يهن ، والشباب الذى يلبس رداء الشيخوخة ، والحياة التى تتخذ هيئة الموت

كنت ألقاه فى خلال الأسبوع مع الناس فى منتداه بشارع الرشيد ، أو على ضفة دجلة جالساً على الدكة الخشبية ينشد الأبيات الرائعة ، أو يرسل النكتة البارعة ، أو يروى الخبر الطريف ، فى بشاشة جذابة ، وقهقهة ساذجة ، ويده المرتعشة لا تنفك تعبث بمسبحته الصغيرة ، أو تصعد وتهبط بسيكارته العراقية ، أو تمتد (بالآنة) إلى نادل القهوة كلما طلب الشاى إلى صديق

وكنت أزوره فى مثواه (بالصابونجية) فأراه فى مباذله قاعداً يشكو الوصب لأنه قضى الليل ساهدا يقرأ ، أو ذاهلا ينظم ، فالقصص والمجلات منتثرة على سريره وعلى مقعده ، والمسودات مدسوسة تحت مخدته أو فى ثيابه ، فلا يتمالك حين يرانى أن يصيح : أنظر كيف أذيب عمرى فى شعرى والأمة تقذفنى بالبهتان ، والحكومة تخرجنى من مجلس الأعيان ، والملك يستكثر علىَّ أن أكون شاعر البلاط ! ، انى سأذهب ، وستبقى أشعارى معبرة عن شعورى وناطقة بآلامى ، فهى دموع ذرفتها على الطرس ، وهى خليقة أن تبعث من عيون قارئها دمعة هى كل جزائى من نظمها ،

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

الطين الضعيف

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

سألنى صديق عن شىء لماذا أفعله أو أتركه - فقد نسيت - فكان مما أذكر أنى قلته له إنى أعيش الآن كما أحب لا كما يجب، فقد جاوزت الأربعين، والذى بقى لى من العمر ستفسده الشيخوخة المتهدمة لامحالة حين ترتفع بى السن فلا يبقى لى حينئذ من لذة الحياة إلا الوجود بمجرده لو أن هذا يفيد متعة، فمن حقى فى هذه الفترة - التى أرجو أن تطول قبل أن يدركنى الذوى والذبول - أن أعتصر من الحياة كل ما يدخل فى الطوق اعتصاره من المتع واللذاذات، فأنا أقرأ ما أشتهى، وأذهب إلى حيث أريد، وأجالس من آنس به، ولا أبالى من غضب ممن رضى. فما فى الحياة فسحة لمبالاة ذلك؛ وأطلق نفسى على السجية كلما وسعنى ذلك، وليس للناس على أكثر من أن أؤدى واجباتى فيما عدا هذا

ودخل على وأنا أقول هذا لصديق شاب مهذب فحيا وقال إنه يقرأ الآن ديوانى، ففزعت ولكنى ابتسمت له وقلت «كان الله فى عونك. ومن الذى ابتلاك به...»

فأهمل السؤال وجوابه وأقبل على يسألنى: «انك تكتب بسرعة» فقلت «إن الذى أعرفه أنى أكتب فى غرفة تحيط بها جدران من الحجارة لا تنفذ العين منها على خلاف ما كان يصنع ديماس الذى كان يكتب على ما يقال فى دكان فيجىء الناس وينظرون اليه من وراء الزجاج.. أريد أن أعرف يا صاحبى ماذا تعنى بالسرعة»

قال «أعنى أنك تكتب إلى مجلات كذا وكذا وكذا.. وتكتب فى صحيفة يومية أيضاً.. هذا كثير.. فمتى تستطيع أن تكتب كل ذلك.. إنه نشاط عجيب...»

فقلت «جواب السؤال أنى أكتب وأنا نائم، فالذى تقرأه لى هو أضغاث أحلامى.. وأما النشاط يا صاحبى فذاك أنى مازلت فى شبابى»

فتركنى وهو يقول إنه يدرس ما أكتب وإنه ينوى أن ينشر بحثا، فاستعذت بالله وحاولت أن أصرفه عن هذا العناء الباطل فما أفلحت، فتوجهت إلى الله عسى أن يصرف عنى هذا السوء بطريقة ما.. وهل كثير على الله أن يشاء أن تشب النار فى كتبى التى عند هذا الشاب، أو تنقلب الدواة كلما هم بالكتابة، أو تجمد أصابعه أو يحدث له غير ذلك من أسباب التعويق والتعطيل.؟

وانفض هذا المجلس، ولكن خاطرا ثقيلا ألح على وظل يدور فى نفسى، ذلك أن كل من ألقاهم من إخوانى يذكرون هذا النشاط. ولا يكتمون تعجبهم. فلم يسعنى إلا أن أتعجب مثلهم وإلا أن أسائل نفسى: «أكان هذا يبدولهم منى مستغربا لو أنهم كانوا يروننى شابا فى العشرين من عمرى مثلا؟ أتراهم يستغربون لأنى فى ظنهم خلفت شبابى ورائى فالمنتظر من مثلى فى اعتقادهم هو الفتور...» ولم يعجبنى هذا التأويل فانه ثقيل على النفس، وآثرت أن أقول إنهم هم معدومو النشاط ولذلك يتعجبون لى. ثم إنى لا أحس الا أنى مازلت شابا. والعبرة بالاحساس لا بهذه الشعرات البيضاء التى يقول عنها ابن الرومى إنها تزيد ولا تبيد فهى مثل نار الحريق.. وما قيمة هذه الشعرات.. لقد ابيضت وأنا فى العشرين من عمرى، وكنت يومئذ بها فرحا مزهوا، وكنت أعدها مظهراً للرحولة ومدعاة للاحترام، فماذا حدث حتى صرت أبغضها.. أو لا أبغضها وإنما أنظر إليها فى المرآة فأزوم، وتقول شفتاى «همممممم».. ثم انى أرانى أجلد من أبناء العشرين، وأصبر على العناء والجهد، وأقدر على العمل والحركة، وأحسن تلقيا للحياة، وأسرع استجابة لدواعيها، فما قيمة هذا الذى تطالعنى به المرايا؟. وما حاجتى أنا إلى المرايا؟. ومتى كنت أنظر فيها حتى أنظر فيها اليوم؟ كلا.. إن امامى باذن الله حياة طويلة، وليست الحياة أن أظل باقيا فى الدنيا والسلام، وإنما هى أن أظل قادرا على العمل وكفؤا للأعباء، وهذا ما اعتقد أنه سيكون شأنى فما أشعر بدبيب الفتور ولا أرى أية علامة على ابتداء النضوب.

وضحكت وأنا أقول ذلك فقد تذكرت أنى قلت مرة لصاحب كان يحدثنى فى هذا الموضوع أو يسألنى على الأصح «هل تعرف حكاية الذى أراد أن يتزوج بنت السلطان.. لقد زعموا أن رجلا من الغوغاء زعم أنه سيتزوج بنت السلطان، فلما سألوه كيف يتسنى له ذلك، قال ان المسألة بسيطة؛ فقد رضيت أنا بزواجها

ولم يبق إلا أن يرضى السلطان . وكذلك أنا فقد عزمت أن أعيش إلى التسعين والمائة أيضا وأنا موافق على ذلك وراض بهذه القسمة وليس باقيا إلا أن يحالفني الحظ ويساعفني القدر ... »

ويتفق لي كثيرا أن أقف بالسيارة حيث يطيب لي الوقوف ، ويسرني حين أفعل ذلك أن أنظر إلى الناس وهم يروحون ويغدون وأن أتأمل ما يكون منهم وكيف يمشون وكيف يتحدثون ويميل بعضهم على بعض وكيف يذهلون عما يكون أمامهم لأن ما هم فيه من الحديث يستغرقهم فيصطدمون أو يحدث غير ذلك مما يضحك ويشرح صدر المتفرج . وأنظر أيضاً إلى الفتيات الناهدات وهن يمشين متخلعات متثنيات متقصعات وعيونهن دائرات في الرجال فاذا نظروا اليهن أغضين كأنما كن ينظرن عفوا . إلى آخر مالا يسع المرء إلا أن يراه في الطريق ، فحدث يوما أني اشتريت شيئا من دكان ثم دخلت السيارة وقعدت فيها وشرعت أدخن وأجيل عيني في الناس فكان الرجال يمضون ويمرون بي ولا يعيرونني التفاتا ؛ أما الشبان فكانت عيونهم ترمقني خلسة . وأما الفتيات فكن يحدقن في وجهي صراحة ، فكنت ابتسم مسرورا بهذه المناظر ، فمرت بي فتاتان بارعتا الجمال فلما بلغتا حيث كنت واقفا مالت إحداهما على الأخرى جداً وهمست وهي تنظر إلي : « ده عجوز » ومن الغريب أني سمعت الهمسة الخافتة على بعد مترين ، وأحسب أني ما كنت لأسمع ما تقول لو أنها صاحت بأعلى صوت « ما أحلاه وأجمله وأبرع شبابه » وأكبر الظن أن الترام كان يمر حينئذ فيغرق هذا الثناء بضجته فيفوتني ما يسرني . أو تسقط عمارة فيفزع الناس ويذهلون ويشغل الخلق بذلك وأنا في جملتهم ... وأنا أتكلم أولا ثم أفكر بعد ذلك ؛ والأولى العكس ، ولكن هذا ما أصنع غير عامد . فلما سمعت الهمسة الثقيلة رأيتني أصيح بالفتاتين « فشرت . فشرتما . فشرتن » فضحكتا وتثنتا وذهبتا تعدوان

ولم يسؤني قول الفتاة إني « عجوز » فما كانت سنها تزيد على الرابعة عشرة وأنا فوق الأربعين بسنوات فهي طفلة بالقياس إلي وليس في وسعها إلا أن تحس هذا الفرق . وغير منتظر أن تدرك أن صباها صبي جسم لا أكثر . وان شبابها الذي تزهى به طراوة ولين وملاسة ونعومة . وعزيت نفسي بلهجة المتشفي به بأنها ستفقد ذلك كله حين تناهز الأربعين وأنها لن تجد يومئذ عوضاً عما فاتها وأن نفسها ستسبق جسمها إلى الذوى . على حين أظل أنا فيما أرجو شاب النفس لا يضيرني أن الزمن يكون قد حفر على وجهي وجلدي أخاديد عميقة . ومن العدل أن تباهي الفتاة وتزهى بما لا عوض عنه وليس من الانصاف أن أنكر عليها ذلك أو أكرهه منها

ثم رجعت أقول لنفسي ولكن ماقيمة شباب النفس وحده .. ؟ ماجدواه إذا فقد الجسم شبابه . . ؟ وتذكرت أبياتاً من قصيدة طويلة كنت قلتها منذ عشرين عاماً ولم أنشرها - بل نشرت بضع مئات منها في صحيفة أسبوعية -

أيها الطين ماترى بك أبغى لستَ - فيما أرى - لشيء كفاء
إن طلبتُ السماء قلت لي َالأر ض - أو الأرض كنتَ لي عصّاء

إلى آخر هذا الهراء ... ولم يكن هذا الطين يستعصى عليه شيء يومئذ . وما قلت ذلك إلا في ساعة فتور شديد جعلني كاليائس أو انسياقا مع المعاني التي ولدتها روح القصيدة وأنا انظمها . ولم يكن يخطر لي أني سأذكر هذه الأبيات التي رميتها وأهملتها حتى مرت الفتاتان بعد عشرين عاماً ونظرت إحداهما - واحلاهما - إلى الشيب في فودي وقالت وهي تميل على صاحبتها « ده عجوز »

إيه يا فتاتي الصغيرة أما والله إني لأشتهي أن أفتح ذراعي وأضم كل فتاة خود مثلك - أضم ملايينكن دفعة واحدة في عناق مفرد كما أراد من نسيت اسمه - نيرون إذا كانت الذاكرة لم تخني - أن يضرب أعناقكن جميعاً بضربة سيف واحدة . . ولعله استسهل هذا واستخف مؤونته واستضأل كلفته ، وإني لأرفق بكن منه - أو لعلي أقسى فما أدرى - ولكنكن ملايين والطين ضعيف واه . . وإني لأراني كما يقول ابن الرومي :

ضعيفاً جباناً - اشتهي ثم أنتهي
بلحظي جنابَ الرزق لحظَ المجانب

وإني لأحس الحياة ثقيلة الوطأة على كاهل الصبر . . وإني لأعود في الليل إلى داري فتقول لي زوجتي ألا تستريح ؟ فأقول كلا . . لاراحة لحي . . وأمضي إلى مكتبي وأجلس إليه وأهم بالكتابة فأرى النعاس يثني رأسي على صدري ، فأنهض متبرماً ، ساخطاً على هذه البلادة ، وأقول لنفسي وأنا أرتمي على الفراش أترى لو كنت في مجلس لهو وطرب أ كنت أفتر هذا الفتور ؟

ويغلبني النوم قبل أن أسمع جراب النفس . . وإني ليكون أمامي الطعام الجيد المشتهى فأمد إليه يدي محاذراً وأتناول منه مترفقاً وعلى قدر مخافة الكظة أو الانتفاخ ، ولم أكن أبالي ذلك قبل سنوات . . وإني لأهم بزيارة الصديق فيصدني أن درجات سلمه كثيرة فأرتد وألعن أصحاب العمائر الذين لا يتخذون المصاعد . .

ولم يرضني هذا السخط على نفسي فقلت وأين هذا الفتور ؟ ومن ذا الذي لا يكل أحياناً ؟ . إني أعمل كالحمار بالليل والنهار وأكتب في اليوم الواحد فصولا ثلاثة أو أربعة لأكثر من صحيفة واحدة . وأقطع بالسيارة أكثر من خمسين كيلو في نهاري ، وأسهر إلى منتصف الليل ، ثم أقوم في الفجر مع الديكة والعصافير وأقصد إلى مكتبي وأروح أدق على آلة الكتابة حتى لقد غير جاري غرفة نومه لكثرة ما أزعجه وأطير النوم عنه في الصباح الباكر . . وأنا أجالس الناس وأحادثهم وأفعل ما يفعله المرء بشبابه ولا أراني أكل أو أعيى أو أمل أو أفتر . . وإن رأسي لدائب لا يكف عن العمل في يقظة أو نوم ؛ ولو كنت أقيد ما يدور في نفسي لوسعني أن أملأ الدنيا كلاماً ، ولكن المصيبة أني لا أقيد شيئاً وأني أنسى ، فالذي يبقى لي لا يعدل جزءاً من مائة مما يخطر لي ، وإذا كانت لي شكاة فتلك أني لا أفتر ولا أراني أقنع بما أستطيع وما يدخل في وسعي . ولقد قال لي مرة طبيب حاذق شكوت إليه أني لا أهدأ - إن بنائي كله من الأعصاب ، وأن جسمي ليس أكثر من شبكة أعصاب ركبت لها العظام لتمسكها ووضع لي هنا قلب وهناك معدة إلى آخر ذلك ، ثم كسي هذا كله جلداً رقيقاً ليمكن أن يقال إن هذا جسم إنسان ، ولكن المهم هو هذه الأعصاب ؛ فإذا كنت أشكو شيئاً في بعض الأحيان فيحسن بي أن أعرف أنه من الأعصاب ليس إلا ، فأرحها حين تتعب تعد كما كانت فانها متينة . وأكبر الظن أن هذه ليست أعصاباً وإنما هي « جنازير من الحديد » ويكفي أنها تتحملك » كذلك قال . ودليل صدقه أني لم أشك شيئاً قط مذ سمعت منه هذا ؛ ولو كان بي شيء غير هذه الأعصاب لما نفعني كلامه . ولقد خرجت من عنده إلى صيدلية فيها ميزان فوقفت عليه فاذا بي - بثيابي الشتوية لا أزن أكثر من سبعة وأربعين كيلو ، فضحكت وقلت : « كم ترى يكون وزني في الحمام . . بغير هذه الثياب . . أو في الصيف الذي يستدعي التخفيف . . صدق الطبيب الحاذق فما هذا بجسم إلا على المجاز . . ولكن هذا البناء الواهي يحتمل النوم على الرمال وتوسد الحجارة . نعم فاني كثيرا ما أخرج إلى الصحراء فأرتمي على رمالها ساعة وساعتين وتحت رأسي حجر صلد كبير . وفي بيتي أترك الفراش الوثير إلى الكراسي الخشنة التي لا راحة لمخلوق عليها . . وأفتح النوافذ وأقعد أو أنام بين تيارات الهواء ولا أرى ذلك يضيرني . وأحسب هذا وراثة . فقد كانت أمي رحمها الله تنام وأنفها إلى النافذة المفتوحة - صيفاً وشتاء . نعم أزكم أحياناً ولكن الفيل يزكم . . وساقي مهيضة ولكني لا أتعب من المشي وإنما أتعب من الوقوف . . ولم أتخذ المدافئ قط ، فإذا أوقدوا في بيتنا ناراً تركت لهم الغرفة إلى أخرى لا نار فيها . . وما لبست معطفاً إلا في أعقاب مرض وعلى سبيل الوقاية إلى حين . . وإني لأرى مناعة جسمي تزداد عاماً فعاما وأراني كلما علت سني أحس أني صرت أقوى وأصح بدنا وأقدر على العمل والحركة والجهد . . فلست بعجوز يافتاتي الصغيرة وإني وحياتك لأصبى من ابني . وان الذي في عروقي لنار سائلة لا دماء جارية ، وقد أحسنت بالانصراف بعد تلك الضحكة الفضية التي ستظل في مسمعي تذكرني بك وتصبيني إلى أترابك والسلام عليك والشكر لك . وإلى الملتقى » وأين مني يهرب الهارب ؟ » ...

ابراهيم عبد القادر المازني

٤ - صعاليك الصحافة . . .

تتمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

وجاء أبو عثمان وفي بُروز عينيه ما يجعلهما في وجهه شيئا كعلامتي تعجب ألقتهما الطبيعة في هذا الوجه . وقد كانوا يلقبونه (الحَدَقِي) فوق تلقيبه بالجاحظ ، كأن لقباً واحدا لا يبيّن عن قبح هذا النتوء في عينيه الا بمرادف ومساعد من اللغة . . . . وما تذكرت اللقبين إلا حين رأيت عينيه هذه المرة .

وانحطّ في مجلسه كأن بعضَه يَرمي بعضه من سخط وغيظ ، أو كأن من جسمه مالا يريد أن يكون من هذا الخَلق المشوه ، ثم نصب وجهه يتأمل ، فبدت عيناه في خروجهما كأنما تَهمَّان بالفرار من هذا الوجه الذي تحيا الكآبة فيه كما يحيا الهمّ في القلب ؛ ثم سكت عن الكلام لأن أفكاره كانت تكلمه .

فقطعت عليه الصمت وقلت : يا أبا عثمان رجعت من عند رئيس التحرير زائدا شيئاً أو ناقصاً شيئا فما هو يرحمك الله ؟

قال : رجعت زائداً أني ناقص ، وههنا شيء لا أقوله ، ولو أن في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين . لوقفوا على عملك وأمثال عملك من كتاب الصحف يتعجبون لهذا النوع الجديد من الشهداء

وقال ابن يحيى النديم : دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال : أنشدني قول عمارة في أهل بغداد . فأنشدته :

ومن يشترى مني ملوكَ مُخَرَّم أبعْ حسَناً وابنَي هِشام » بدرهم

وأُعطي رجاء » بعد ذاك زيادة وأمنحُ « دينارا » بغير تندُّم

قال أبو عثمان :

فان طلبوا مني الزيادة زدتهم « أبا دُلف » والمستطيل بن أكثم

ويلي على هذا الشاعر . اثنان بدرهم ، واثنان زيادة فوقهما العظم الدرهم ، واثنان زيادة على الزيادة لجلالة الدرهم ؛ كأنه رئيس تحرير جريدة يرى الدنيا قد ملئت كتّابا . ولكن ههنا شيئا لا أقوله

وزعموا أن كسرى أبرويز كان في منزل امرأته شيرين ، فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت له شيرين : أمرت الصياد بأربعة آلاف درهم ، فان أمرت بها لرجل من الوجوه ، قال : إنما أمر لي بمثل ما أمر للصياد . فقال كسرى : كيف أصنع وقد أمرت له ؟

قالت : إذا أتاك فقل له : اخبرني عن السمكة ، أذكر هي أم أنثى؟ فان قال أنثى . فقل له : لا تقع عيني عليك حتى تأتيني بقرينها ، وان قال غير ذلك فقل له مثل ذلك .

فلما غدا الصياد على الملك قال له : اخبرني عن السمكة ، أذكر هي أم أنثى ؟ قال : بل أنثى . قال الملك : فأتني بقرينها . فقال الصياد عمر الله الملك ، إنها كانت بكراً لم تتزوج بعد . . .

قلت : يا أبا عثمان فهل وقعت في مثل هذه المعضلة مع رئيس التحرير ؟

قال : لم ينفع عمك أن سمكته كانت بكراً . فانما يريدون إخراجه من الجريدة وما بلاغة أبي عثمان الجاحظ بجانب بلاغة التلغراف وبلاغة الخبر وبلاغة الأرقام وبلاغة الأصفر وبلاغة الأبيض . . . ولكن ههنا شيئا لا أريد أن أقوله .

وسمكتي هذه كانت مقالة جودتها وأحكمتها وبلغت بألفاظها ومعانيها أعلى منازل الشرف وأسنى رتب البيان وجعلتها في البلاغة طبقة وحدها . وقبل أن يقول الاوربيون (صاحبة الجلالة الصحافة) قال المأمون : « الكتاب ملوك على الناس » . فأراد عمك أبو عثمان أن يجعل نفسه ملكا بتلك المقالة فاذا هو بها من (صعاليك الصحافة) .

لقد كانت كالعروس في زينتها ليلة الجلوة على محبها ، ما هي إلا الشمس الضاحية ، وما هي إلا أشواق ولذات ، وما هي إلا اكتشاف أسرار الحب ، وما هي إلا هي . فاذا العروس عند رئيس التحرير هي المطلقة ، واذا المعجب هو المضحك ، ويقول الرجل : أما نظريا فنعم ، وأما عمليا فلا ، وهذا عصر خفيف يريد الخفيف ، وزمن عامي يريد العامي ، وجمهور سهل يريد السهل ، والفصاحة هي إعراب الكلام لاسياسته بقوى البيان والفكر واللغة ، فهي اليوم قد خرجت من فنونها واستقرت في علم النحو

---

(١) كتب الدكتور زكي مبارك مقالا في جريدة المصري الغراء زعم فيه أننا قلنا « إن الصحافة لاتنجح إلا في أيدي الصعاليك » ولا ندري كيف أحس هذا المعنى . ثم تهددنا ! ! ! فقال : « ما رأيك إذا وقف لك حد الصحفيين (ولعله يعني نفسه) في معركة فاصلة ! ! ! ورماك بحب التكلف والافتعال في عالم الانشاء والتأليف » ؟ « ما رأيك إذا حملك رجل منهم (ولعله يعني نفسه) على عاتقه والقى بك في هاوية التاريخ لتعيش مع صعصعة بن صفوان » ؟ — ابلغ خطباء العرب وانطقهم —

وجوابنا لصاحبنا هـذا : أن وزارة الداخلية اطلعت على مقاله فأمرت جميع الحمال التي تبيع لعب الأطفال ـ ألا يبيعوا « معركة فاصلة » ولا « هاوية تاريخ » . .

وحسبك من الفرق بينك وبين القارىء العامي : أنك أنت لا تلحن وهو يلحن

قال أبو عثمان : وهذه أكرمك الله منزلة يقل فيها الخاصي ويكثر العامي فيوشك ألا يكون بعدها إلا غلبة العامية ، ويرجع الكلام الصحافي كله سوقياً بلدياً (حنشصياً) ، وينقلب النحو نفسه وما هو إلا التكلف والتوعر والتقعر كما يرون الآن فى الفصاحة ، والقليل من الواجبات ينتهى إلى الأقل ، والأقل ينتهى إلى العدم ، والانحدار سريع يبدأ بالخطوة الواحدة ثم لا تملك بعدها الخطى الكثيرة

لا جرم فسد الذوق وفسد الأدب وفسدت أشياء كثيرة كانت كلها صالحة ، وجاءت فنون من الكتابة ما هى إلا طبائع كتّابها تعمل فيمن يقرؤها عمل الطباع الحية فيمن يخالطها . ولو كان فى قانون الدولة تهمة إفساد الأدب أو إفساد اللغة ، لقبض على كثيرين لا يكتبون إلا صناعة لهو ومسلاة فراغ وفساداً وإفساداً . والمصيبة فى هؤلاء ما يزعمون لك من أنهم يستنشطون القراء ويلهونهم . ونحن إنما نعمل فى هذه النهضة لمعالجة اللهو الذى جعل نصف وجودنا السياسى عدما ؛ ثم لملء الفراغ الذى جعل نصف حياتنا الاجتماعية بطالة . وهذا أيضاً مما جعل عمك أبا عثمان فى هذه الصحافة من (صعاليك الصحافة) وتركه فى المقابلة بينه وبين بعض الكتاب كأنه فى أمس وكأنهم فى غد .

ودق الجرس يدعو أبا عثمان إلى رئيس التحرير . . .

***

فما شككت أنهم سيطردونه فان الله لم يرزقه لساناً مطبعياً ثرثاراً يكون كالمتصل من دماغه بصندوق حروف . . . ولم يجعله كهؤلاء السياسيين الذين يتم بهم النفاق ويتلون ، ولا كهؤلاء الأدباء الذى يتم بهم التضليل ويتشكل .

ورجع شيخنا كالمخنوق أرخى عنه وهو يقول : ويلى على الرجل . ويلى من الكلام الظريف الذى يقال فى الوجه ليدفع فى القفا . . . كان ينبغى ألا يملك هذه الصحافة اليومية إلا مجالس الأمة ، فذلك هو إصلاح الأمة والصحافة والكتّاب جميعاً . أما فى هذه الصحف فالكاتب يخبز عيشه على نار تأكل منه قدر ما يأكل من عيشه ، ولو أن عمك فى خفض ورفاهية وسعة ، لكان فى استغنائه عنهم حاجتهم إليه ، ولكن السيف الذى لا يجد عملا للبطل ، تفضله الإبرة التى تعمل للخياط . وماذا يملك عمك أبو عثمان ؟ يملك مالا ينزل عنه بدول الملوك ، ولا بالدنيا كلها ، ولا بالشمس والقمر ، إذ يملك عقله وبيانه . على أنه مستأجر هنا بعقله وبيانه يعقل ما شاؤا ويكتب ما شاؤا .

لك الله أن أصدقك القولَ فى هذه الحرفة اليومية . إن الكاتب حين يخرج من صحيفة إلى صحيفة ، تخرج كتابته من دين إلى دين . . .

ورأيت شيخنا كأنما وضع له رئيس التحرير مثلَ البارود فى دماغه ثم أشعله . فأردت أن أمازحه وأسرى عنه ، فقلت : اسمع يا أبا عثمان . جاءتنى بالأمس قضية يرفعها صاحبها إلى المحكمة ، وقد كتب فى عرض دعواه : إن جار بيته غصبَه قطعة من أرض فَنائه الذى تركه حول البيت ، وبنى فى هذه الرقعة دارا ، وفتح لهذه الدار نافذات . فهو يريد من القاضى أن يحكم برد الأرض المغصوبة ، وهدم هذه الدار المبنية فوقها ، و . . و . . وسد نافذاتها المفتوحة . . . !

فضحك الجاحظ حتى أمسك بطنه بيده وقال : هذا أديب عظيم كبعض الذين يكتبون الأدب فى الصحافة : « كثرت ألفاظه ونقص عقله . » وسئل بعض الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عدمه ؟ قال : إذا كثر الأدب ونقصت القريحة . وقد قال بعض الأولين : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ؛ كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه ؛ وهذا كله قريب بعضه من بعض (١)

والأدب وحده هو المتروك فى هذه الصحافة لمن يتولاه كيف يتولاه إذ كان أرخص ما فيها ، وإنما هو أدب لأن الأمم الحية لا بد أن يكون لها أدب ، ثم هو من بعد هذا الاسم العظيم ملء فراغ لا بد أن يملأ . وصفحة الأدب وحدها هى التى تظهر فى الجريدة اليومية كبقعة الصدأ على الحديد تأكل منه ولا تعطيه شيئاً .

ثم يأبى من تترك له هذه الصفحة إلا أن يجعل نفسه (رئيس تحرير) على الأدباء ، فما يدع صفة من صفات النبوغ ولا نعتاً من نعوت العبقرية إلا نحلَه نفسه ووضعه تحت ثيابه ؛ وما أيسر العظمة وما أسهل منالها إذا كانت لا تكلفك إلا الجراءة والدعوى والزعم ، وتلفيق الكلام من أعراض الكتب وحواشى الأخبار وقد يكون الرجل فى كتابته كالعامة ، فاذا عبته بالركاكة

(١) هذه الجملة من كلام الجاحظ

والسخف والابتذال وفراغ مايكتب ؛ قال : هذا مايلائم القراء . وقد يكون من أكذب الناسَ فيما يدّعى لنفسه وما يهوّل به لتقوية شأنه وإصغار من عداه ، فاذا كذّبه من يعرفه قال : هذا ما يلائمنى . وهو واثق أنه فى نوع من القراء ليس عليه إلا أن يملأهم بهذه الدعاوى كما تُملأ الساعة ، فاذا هم جميعاً يقولون : تك تك . . تك تك . . . . .

فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ؛ جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب ، كلَّه سواء وكله بياناً[1] ، وكان المكى طيبَ الحجج ، ظريفَ الحيل ، عجيب العلل . وكان يدّعى كل شىء على غاية الإحكام ولم يحكم شيئاً قط من الجليل ولا من الدقيق . وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه . قلت له مرة : أعلمت أن الشارى حدثنى أن المخلوع (أى الأمين) بعث إلى المأمون بجراب فيه سمسم ، كأنه مخبره أن عنده من الجند بعدد ذلك ، وأن المأمون بعث له بديك أعور ، يريد أن طاهر بن الحسين يقتل هؤلاء كلهم كما يلقط الديك الحب ؟

قال : فان هذا الحديث أنا ولدته ، ولكن انظر كيف سار فى الآفاق . . . [2]

ثم قال أبو عثمان : وقد زعم أحد أدبائكم أنه اكتشف فى تاريخ الأدب اكتشافاً أهمله المتقدمون وغفل عنه المتأخرون ، فنظر عمك فى هذا الذى ادعاه ، فاذا الرجل على التحقيق ، كالذى يزعم أنه اكتشف أمريكا فى كتاب من كتب الجغرافيا . . . .

وما يزال البلهاء يصدقون الكلام المنشور فى الصحف لا بأنه صدق ولكن بأنه « مكتوب فى الجريدة » . . . . فلا عجب أن يظن كاتب صفحة الأدب ـ متى كان مغروراً ـ أنه إذا تهدد إنساناً فما هدده بصفحته بل بحكومته . . . .

نعم أيها الرجل إنها حكومة ودولة ؛ ولكن ويحك : إن ثلاث ذبابات ليست ثلاث قطع من أسطول انجلترا . . . . . . !

* * *

وضحك أبو عثمان وضحكت فاستيقظت

(طنطا) **مصطفى صادق الرافعى**

(١) و (٢) هذا من كلام الجاحظ

من التاريخ

المهديون المنتظرون

لأستاذ كبير

قال الأستاذ محمد عبد الله عنان فى مبحثه البارع (ضوء جديد على مأساة شهيرة) فى الجزء (١٨٨) من هذه المجلة : إن رجعة[1] الحاكم قد بنيت على المقالة المهدوية ، وذكر ثلاثة من الجماعة المنتظرة . وقد رأيت أن أطرف قراء (الرسالة) أقوالا موجزة فى (المهديين المنتظرين) مما خطه مؤرخو النحل الإسلامية ونقله رجال الأثر . وأنا فى ذلك راو لا ينقد مقالة فرقة ، ولا يجادل جماعة مذهب ، ولا يضيف شيئا من عنده إلى نقله . وروايتى هى عن هذه الكتب : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعرى ، الفرق بين الفرق للبغدادى ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، الملل والنحل للشهرستانى ، فرق الشيعة للنوبختى ، سنن أبى داود ، صحيح الترمذى ، المحصل للرازى ، شرح مواقف الأيجى للجرجانى ، شرح الدرة المضية للسفارينى .

١ — على بن أبى طالب

قالت السبئية : « إن عليا لم يقتل ، ولم يمت ، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، ويملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا . وهو المهدى المنتظر دون غيره[2] »

٢ — ابن الحنفية (محمد بن على)

قالت الكربية الكيسانية : « إن محمد بن الحنفية حى لم يمت ، وإنه فى جبل رضوى ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، يأتيه رزقه غدوة وعشية ، وعن يمينه أسد ، وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه ؛ وهو المهدى المنتظر[3] »

٣ — عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

« زعمت الجناحية (فرقة من الكيسانية) أن عبد الله بن

(١) (الرجعة) عند الدروز اقترب أجلها ، اذ مدة (الغيبة) ألف سنة ، ورجال الدين منهم في قلق وحيرة لدنو الميعاد . ويقول بعض لبعض : استعد، قربت (الساعة). وستشهد (القاهرة) ـ حسبما سطر فى كتب الجماعة ـ عجائب وغرائب . وتعز فيها أقوام وتذل أقوام . . .

(٢) البغدادى ، النوبختى .

(٣) الأشعرى ، البغدادى ، الشهرستانى .

معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب حى بجبال أصبهان لم يمت ولا يموت ، ولا بد أن يظهر حتى يلى أمور الناس ، وهو المهدى الذى بشر به النبى (١) ،

٤ — محمد بن على (الباقر)

« قالت الباقرية : إن محمد بن على (الباقر) هو المهدى المنتظر بما روى أن النبى قال لجابر بن عبد الله الانصارى : (إنك تلقاه فاقرأه منى السلام (٢)) وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، وكان قد عمى فى آخر عمره ؛ وكان يمشى فى المدينة ويقول : يا باقر ، يا باقر ، متى ألقاك ؟ (٣) »

٥ — محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب

« قالت طائفة من الجارودية الزيدية : إن محمد بن عبد الله حى لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ، وهو مقيم بجبال ناحية الحاجر ، وهو المهدى بالحديث الذى يقول فيه : يوافق اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى (٤) »

٦ — جعفر بن محمد (الصادق)

« قالت الناووسية : إن (الصادق) حى لم يمت ولا يموت حتى يظهر أمره ، وهو القائم المهدى . رووا عنه أنه قال : لو رأيتم رأسى يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فانى صاحبكم صاحب السيف (٥) »

٧ — اسماعيل بن جعفر الصادق

« قالت فرقة من الاسماعيلية الواقفية والناووسية : إن اسماعيل بن جعفر لم يمت إلا أنهم أظهروا موته تقية ، وعقد محضر وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ، فهو حى لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً . فالجماعة منتظرة لاسماعيل بن جعفر (٦) »

٨ — محمد بن اسمعيل بن جعفر

« قالت القرامطة : ان محمد بن اسمعيل لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض ، وانه هو المهدى الذى تقدمت البشارة به ، وهو في بلاد الروم وهو القائم المهدى ؛ ومعنى القائم عندهم انه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ، واعتلوا فى نسخ الشريعة (شريعة محمد) أنه قال : لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدا (١) »

٩ — موسى بن جعفر (موسى الكاظم)

« قالت الواقفة (الموسوية ، المفضلية ، الممطورة) : إن موسى ابن جعفر لم يمت ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ، ويملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا . وهو المهدى المنتظر (٢) »

١٠ — جعفر بن على الهادى

« غلت النفيسية فى جعفر بن على الهادى وفضلته على على بن أبى طالب ، واعتقدت انه أفضل الخلق بعد رسول الله ، وادعت أنه القائم (٣) »

١١ — محمد بن القاسم

« قالت طائفة من الجارودية إن محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين (القائم بالطالقان أيام المعتصم) حى لم يمت ولا قتل ، ولا يموت ولا يقتل حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (٤) »

١٢ — يحيى بن عمر

« قالت طائفة من الجارودية : ان يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (القائم بالكوفة أيام المستعين) حى لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (٥) »

١٣ — الحسن العسكرى (٦) بن على الهادى

« قالت فرقة : ان الحسن لم يمت وهو القائم ، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر . وقد ثبت عندنا أن القائم له غيبتان ، وهذه إحدى الغيبتين . وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة أخرى

(١) الأشعري ، ابن حزم .
(٢) نقلت الجملة كما رويت
(٣) البغدادي .
(٤) ابن حزم ، الأشعري ، البغدادى .
(٥) الأشعري ، الشهرستاني ، البغدادى .
(٦) الشهرستانى ، ابن حزم . البغدادي .

(١) الأشعرى ، النوبختى .
(٢) الأشعري ، البغدادى .
(٣) النوبختى .
(٤) ابن حزم .
(٥) ابن حزم .
(٦) نسبة إلى (العسكرية) من اسماء مدينة (سر من رأى) لما بناها المعتصم انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر

وقالت فرقة ثانية : إن الحسن مات لكن سيجيء . وهو المعنى بكونه قائماً أي يقوم بعده (بعد الموت) (١) ،

١٤ — محمد بن الحسن العسكرى

« قالت الفرقة الثانية عشرة وهى الامامية : لله فى الأرض حجة من ولد الحسن بن على ، وأمر الله بالغ ، وهو وصى لأبيه . ولا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ؛ ولو خلت ساعة لساخت الأرض ومن عليها . فنحن مقرون بوفاة الحسن وأن خلفه هو الامام من بعده حتى يظهر ويعلن أمره . والامام (عليه السلام) أعرف بنفسه وزمانه منا (٢) »

« لقبه المهدى والمنتظر والقائم المكرم المطهر
أكثر من سبعين شخصا شاهدوا جماله ولاحت الشواهد
وغاب غيبتين (صغرى) امتدت وكانت الشدة فيها اشتدت
قريب سبعين من الأعوام كان اختفى عن اكثر الأنام
كان له من الموالى سفرا إذ غاب واختفى ورام السفرا
وغيبة أخرى الى ذا الآن وانه لصاحب الزمان
لكنه لا بد من أن يخرجا وبعد شدة نلاقى الفرجا (٣) »

١٥ — محمد بن عبد الله ، محمد المهدى ، الفاطمى

روى الترمذى وأبو داود «عن ابن مسعود أن رسول الله قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا منى . أو قال من أهل بيتى ، يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ، يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً » (٤)

* * *

ومن الفرق التى تنتظر رجعة زعيمها فرقة الخلفية من الخوارج . فهم ينتظرون قيس بن مسعود وقد غرق فى واد منهزماً من الخوارج الحزية (٥)

ومن ـ كانوا ـ ينتظرون منجدين ومغيثين ـ وإن لم يسموا بالمهديين ـ القحطانى والسفيانى (٦) . ومصدقو المقالة المهدوية يرتقبون هذين الرجلين وغيرهما (قبل الفاطمى) مفسدين فى الأرض وعائثين لا مغيثين

(١) الشهرستاني ، الرازي .
(٢) النوبختى .
(٣) ابن الحر العاملى المشغرى .
(٤) الترمذي ، أبو داود .
(٥) البغدادى .
(٦) السفياني عند الأمويين وجماعتهم مثل المهدى عند الهاشميين وشيعتهم .

« ومن أقوى علامات خروج المهدى خروج من يتقدمه من الخوارج : السفيانى والأبقع والأصهب والأعرج والكندى . أما السفيانى فاسمه عروة واسم أبيه محمد ، وكنيته أبو عنبة . قال الشيخ مرعى فى فوائد الفكر ، وفى عقد الدر : إن السفيانى من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان ، ملعون فى السماء والأرض ، وهو أكثر خلق الله ظلماً . قال على : السفيانى رجل ضخم الهامة بوجهه أثر جدرى ، بعينه نكتة بياض ، يخرج من ناحية دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء ، ويقتل الصبيان ، ويخرج إليه رجل من أهل بيتى فى الحرم فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم ، فيسير إليه السفيانى بمن معه حتى إذا جاز بيداء من الأرض خسف بهم فلا ينجو إلا المخبر عنهم . أخرجه الحاكم فى مستدركه وقال هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه . والأبقع يخرج من مصر ، والأصهب يخرج من بلاد الجزيرة ، ثم يخرج الجرهمي من الشام ، ويخرج القحطانى من بلاد اليمن . قال كعب الأحبار : فبينما هؤلاء الثلاثه قد تغلبوا على مواضعهم إذ قد خرج السفيانى من دمشق من واد يقال له : وادى اليابس .

وفى الحديث : لاتحشر أمتى حتى يخرج المهدى يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة ، ويخرج إليه الأبدال من الشام ، والنجباء من مصر ، وعصائب أهل الشرق حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام ، ثم يتوجه إلى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على يساره ، ومعه أهل الكهف . فيفرح به أهل السماء والأرض والطير والوحوش والحيتان فى البحر ، وتزيد المياه فى دولته ، وتمتد الأنهار ، وتضعف الأرض أكلها فيقدم إلى الشام فيأخذ السفيانى فيذبح تحت الشجرة التى أغصانها إلى بحيرة طبرية (١) »

* * *

وهناك فرقة تنتظر نبياً (لامهدياً فقط) عجمياً (لاعربياً) وهى اليزيدية من الخوارج أصحاب يزيد بن أنيسة ، قالوا : سيبعث نبى من العجم بكتاب يكتب فى السماء وينزل عليه جملة واحدة ، ويترك شريعة محمد إلى ملة الصابئة المذكورة فى القرآن (٢) ،

أحمد القراء

(١) السفارينى .
(٢) شرح المواقف .

داعي الدعاة

ونظم الدعوة عند الفاطميين

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الدعاية من أعظم العوامل التى عاونت على ظفر الحلفاء فى الحرب الكبرى؛ وللدعاية فى عصرنا أعظم شأن فى تكوين الرأى العام، وفى توجيهه إلى النواحى والغايات التى يراد توجيهه إليها، ولا يخفى ما للرأى العام اليوم من القوة والنفوذ حيثما تتاح له فرص الظهور والاعراب؛ ففى الأمم الديمقراطية التى مازالت الحريات العامة فيها قائمة مكفولة يتمتع الرأى العام بكل قوته ونفوذه، ويحسب حسابه، ويحدث أثره فى توجيه الحوادث والشؤون؛ وحتى فى الأمم التى تسودها النظم الطاغية، وتسحق الحريات العامة، ويسلب الرأى العام والخاص كل حرية فى القول والاعراب، تتبوأ الدعاية أهميتها كوسيلة قوية لتكوين رأى الكافة، ومحاولة التأثير على الخاصة والمستنيرين، وإخفاء ما يراد إخفاؤه من عيوب النظم الطاغية والاشادة بما تدعيه من الفضائل والمزايا وتحقيق الاصلاح والخير العام؛ وفى سبيل هذه الغاية تعتمد النظم الطاغية على هيئات قوية محكمة للدعاية الشاملة تسيطر على جميع وسائل الدعوة كالصحافة والأدب والراديو والتمثيل والسينما وغيرها مما تلمس أثره فى تكوين الرأى العام وتوجيهه وتثقيفه

وتبدو هذه الهيئات المحدثة للدعاية كأنها بدعة فى النظم الجديدة، وكأنها ابتكار لم يسبق مثوله فى غيرها، وقد بلغت فى بعض الدول مرتبة الوزارة الخاصة، وأضحت من دعامات الحكم الجديد التى يحسب حسابها فى حشد الرأى العام وفى توجيه حيثما شاءت السياسة العليا. بيد أنا سنرى فى هذا الفصل أن تنظيم الدعاية الرسمية على هذا النحو ليس ابتكاراً جديداً، ولم تنفرد به تلك الدول والنظم التى تفاخر به وتعتمد عليه، وانه قد عرف فى الدول الاسلامية قبل ألف عام، واتخذ كما يتخذ اليوم أداة قوية لغزو الأذهان وتوجيه رأى الكافة، وكان دعامة من دعائم الحكم والخلافة

أجل عرفت الدولة الاسلامية قيمة الدعاية ولجأت فى مختلف الظروف والحوادث لتحقيق غايات الدين والسياسة: بيد أنها لم تدمج فى هيئة خاصة، ولم تنظم أصولها ووسائلها بصورة رسمية إلا فى الدولة الفاطمية. ففى ظل هذه الدولة القوية المدهشة نجد الدعوة تتخذ وسيلة من أنفذ الوسائل لحشد الأولياء والكافة وتوضع لها نظم هى آية الطرافة والبراعة، ونجد هذه الهيئة الرسمية التى تضطلع بهذه المهمة الخطيرة ترتفع إلى مرتبة الوزارة، وتجعل الخلافة الفاطمية منها سياجاً منيعاً لامامتها وزعامتها الدينية

لما استقر الفاطميون بمصر وغدت مصر منزلهم ومثوى ملكهم ودولتهم شعرت الخلافة الفاطمية بالحاجة إلى مضاعفة جهودها المذهبية، ذلك أنها لم تجد فى مصر كما وجدت فى قفار المغرب الساذجة مهداً خصباً لدعوتها، بل ألفت فى مصر مجتمعاً متمدناً عركته الأحداث الدينية والسياسية والفكرية؛ ولم يكن اعتماد الخلافة الفاطمية فى بث دعوتها على سلاح التشريع قدر اعتمادها على الدعاية السرية، وغزو الأذهان بطريقة منظمة، لأنه إذا كان التشريع وسيلة لسيادة الكافة وتحقيق الطاعة الظاهرة فان الدعاية المنظمة هى خير الوسائل لغزو الأذهان المستنيرة وحشدها لتأييد الدعوة المنشودة. وقد كانت الدعوة السرية أنفذ وسائل الفاطميين إلى تبوء الملك، فلما جنوا ثمار ظفرهم الأولى، كانت الدعوة السرية وسيلتهم إلى حمايتها وتدعيمها، فكان لهم دعاة فى سائر الأقطار الاسلامية؛ وكانت مصر منزل ملكهم وخلافتهم منبر هذه الدعوة ومركزها ومجمعها، تنساب منه إلى جنبات الامبراطورية الفاطمية الشاسعة وإلى سائر الأقطار الاسلامية الأخرى

وكانت هذه الدعوة المذهبية تتخذ منذ البداية صبغة رسمية، ومذ قامت الخلافة الفاطمية بالقاهرة، نراها تنتظم فى القصر الفاطمى وتتخذ صورة الدعوة إلى قراءة علوم آل البيت (علوم الشيعة) والتفقه فيها، وكان يقوم بالقاء هذه الدروس قاضى القضاة وغيره من أكابر العلماء المتضلعين فى فقه الشيعة، وكانت تلقى أحيانا فى القصر وأحيانا فى الجامع الأزهر؛ وينوه المسبحى مؤرخ الدولة الفاطمية باقبال الكافة على الاستماع لهذه الدروس

والجلسات المذهبية فيقول لنا إنه فى ربيع الأول سنة ٣٨٥ هـ جلس القاضى محمد بن النعمان بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتادفات فى الزحام احد عشر رجلا ، فكفنهم العزيز بالله . بيد أن هذه الدعاية المذهبية الظاهرة التى بدأت فى صورة الدروس الفقهية المذهبية ، وهى دروس كان يطلق عليها مجالس الحكمة ، كانت ستاراً لدعوة أخرى بعيدة المدى ، كانت تحاط بنوع من التحفظ والتكتم ، هى الدعوة الفاطمية السرية التى كانت الخلافة الفاطمية تجد فى بثها وسيلة لغزو الأذهان المستنيرة وحشدها فى حظيرتها المذهبية ، الدينية والسياسية ؛ وكان من عناية الخلافة الفاطمية بتنظيم هذه الدعوة وبثها أن أنشأت لها خطة دينية تضارع فى المرتبة والأهمية خطة الوزارة ذاتها ؛ وكان هذا المنصب الخطير من أغرب الخطط الدينية التى أنشأتها الدولة الفاطمية وانفردت بها ؛ وكان متوليه ينعت بداعى الدعاة وهو أيضا من أغرب الشخصيات الرسمية التى خلقتها الدولة الفاطمية ؛ وكان داعى الدعاة يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه ويتمتع بمثل امتيازاته ، وينتخب من بين أكابر فقهاء الشيعة المتضلعين فى العلوم الدينية وفى أسرار الدعوة ويعاونه فى مهمته اثنا عشر نقيبا وعدة كبيرة من النواب يمثلون فى سائر النواحى ؛ وكانت هذه الدروس والمحاضرات الخاصة التى يشرف عليها داعى الدعاة ، تلقى بعد مراجعة الخليفة وموافقته فى إيوان القصر الكبير ؛ وتعقد للنساء مجالس خاصة بمركز الداعى بالقصر ، وهو المسمى « بالمحول » ، وكان من أعظم الأبنية وأوسعها فاذا انتهت القراءة أقبل الأولياء والمؤمنون على الداعى فيمسح على رؤوسهم بعلامة الخليفة ويأخذ العهد على الراغبين فى دخول المذهب ، ويؤدى له النجوى من استطاع ، وهى رسم اختيارى صغير يجبى من المؤمنين للانفاق على الدعوة والدعاة ، وكانت ثمة مجالس أخرى تعقد بالقصر أيضا لبعض الهيئات والطبقات الممتازة من أولياء المذهب – ورجال الدولة والقصر – ونساء الحرم والخاص ، ويسودها التحفظ والتكتم ، ويحظر شهودها على الكافة ؛ وتعرض فيها الدعوة الفاطمية على يد دعاة تفقهوا فى درسها وعرضها ؛ وكان تلقين هذه الدعوة ، هو أخطر مهمة يقوم بها الدعاة ، بل كان فى الواقع أهم غاية يراد تحقيقها ؛ وكان للكافة أيضا نصيب من تلك المجالس الشهيرة ، فيعقد للرجال مجلس بالقصر ، ويعقد للنساء مجلس بالجامع الأزهر ويعقد مجلس للأجانب الراغبين فى تلقى الدعوة ؛ وكان الداعى يشرف على هذه المجالس جميعا إما بنفسه أو بواسطة نقبائه ونوابه ، وكانت الدعوة تنظم وترتب طبقا لمستوى الطبقات والأذهان فلا يتلقى الكافة منها سوى مبادئها وأصولها العامة ، ويرتفع الدعاة بالخاصة والمستنيرين إلى مراتبها وأسرارها العليا

وقد انتهت إلينا وثيقة رسمية هامة هى سجل فاطمى باقامة داعي الدعاة ، وبيان مهمته واختصاصاته وما يجب عليه اتباعه لاذاعة الدعوة ، وقد جاء فيه بعد الديباجة شرحاً لمقاصد الدعوة ما يأتى : « وإن أمير المؤمنين بما منحه الله تعالى من شرف الحكمة ، وأورثه من منصب الامامة والأئمة ، وفوض إليه من التوقيف على حدود الدين وتبصير من اعتصم بحبله من المؤمنين ، وتنوير بصائر من استمسك بعروته من المستجيبين ، يعلن باقامة الدعوة الهادية بين أوليائه ، وسبوغ ظلها على أشياعه وخلصائه ، وتغذية أفهامهم بلبانها ، وإرهاف عقولهم ببيانها ، وتهذيب أفكارهم بلطائفها ، وإنقاذهم من حيرة الشكوك بمعارفها ، وتوفيقهم من علومها على ما يلحب لهم سبل الرضوان ، ويفضى بهم روح الجنان وريح الحنان ، والخلود السرمدى فى جوار الجواد المنان . . . »

ومنها فى شرح واجبات الداعى وطرق تلقين الدعوة : « وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشد العقد على كل منقاد ظاهر ، ممن يظهر لك اخلاصه ويقينه ، ويصح عندك عفافه ودينه ، وحضهم على الوفاء بما تعاهدهم عليه . . . ولا تكره أحداً على متابعتك والدخول فى بيعتك . . . ولا تلق الوديعة إلا لحفاظ الودائع ، ولا تلق الحبّ الا فى مزرعة لا تكدى على الزارع ، وتوخ لغرسك أجل المغارس ، وتوردهم مشارع ماء الحياة المعين ، وتقربهم بقربان المخلصين ، وتخرجهم من ظلم الشكوك والشبهات الى نور البراهين والآيات ؛ واتل مجالس الحكم التى تخرج اليك فى الحضرة على المؤمنين والمؤمنات ، والمستجيبين والمستجيبات ، فى قصور الخلافة الزاهرة ، والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة ، وصن اسرار الحكم الا عن أهلها ، ولا تبذلها الا لمستحقها ، ولا تكشف للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله ولا تستقل أفهامهم بتقبله ، واجمع من التبصر بين أدلة الشرائع والعقول ،

ودل على اتصال الممثل بالممنون ؛ فإن الظواهر أجسام ، والبواطن أشباحها ، والبواطن أنفس ، والظواهر أرواحها . . . » (١)

وفي هذه العبارات ما يلقي الضياء على غايات السياسة الفاطمية الدينية والمعنوية وعلى وسائلها في غزو الاذهان وحشدها من حولها ؛ ومن المعروف ان الخلافة الفاطمية كانت تتخذ الامامة الدينية شعارها ، ومرجع زعامتها الدينية في العالم الاسلامي ، وشرعية ملكها السياسي ، فالدعوة الفاطمية التي كانت تلقى في مجالس الحكمة الى الكافة والى الخاصة متدرجة في مراتب من السرية والتحفظ طبقا لمكانة الأشخاص وأحوالهم الفكرية والاجتماعية ، كانت رغم صفتها الدينية . ترمي في النهاية الى أغراض سياسية ؛ ذلك أن الخلافة الفاطمية كانت ترى أن تحشد جمهور أوليائها ومؤيديها عن طريق الدين ، ومتى اجتمعوا في ظل الامامة وتحت لوائها ، استطاعت أن تحركهم وان توجههم وفق مصالحها وغاياتها ، وان تعتمد على تأييدهم ونصرتهم كلما اقتضت الظروف والأحوال

والدول المحدثة التي تعتمد في عصرنا على سلاح الدعاية ترمي الى مثل هذه الغاية ؛ فهي تتوسل بما لديها من أسلحة حديثة لغزو العقول والأذهان كالصحافة والراديو والسينما وغيرها لفرض مذاهبها السياسية والاجتماعية والدينية أحيانا على جمهور الشعب والحصول على تأييده ونصرته . ولم تكن الخلافة الفاطمية ، وهي من دول العصور الوسطى ، تتمتع بشيء من هذه الوسائل القوية المحدثة ، ولكنها مع ذلك استطاعت ان تنظم دعوتها بأساليب ووسائل مدهشة ، وأن تجنى كثيرا من الثمرات المادية والمعنوية ، بل لقد كان قيام الدولة الفاطمية ذاته نتيجة من نتائج الدعوة الفاطمية . وذيوع هذه الدعوة في قبائل إفريقية البربرية هو الذي جمع كلمة القبائل حول عبيدالله المهدي ، وهو الذي مهد لقيام الدولة الجديدة

والخلاصة ان فكرة الدعاية التي تتبوأ في النظم السياسية والاجتماعية الحديثة ، ولا سيما نظم الطغيان الفاشستية ، مكانة خاصة ، وتعتبر من أقوى أسلحة الطغيان في عصرنا ، ليست جديدة في ذاتها أو غاياتها ، وان كانت جديدة في وسائلها ، وقد عرفتها الدول الاسلامية قبل الف عام ، واتخذت على يد الخلافة الفاطمية أذكى وابرع وانفذ أساليبها

محمد عبد الله عنان

(١) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٤٣٤ وما بعدها

في الأدب المقارن

الرومانسية والكلاسية

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

ينشأ أدب الأمة المتبدية ساذجا بسيطا صريح التعبير قريب المتناول ، مطلق السجية في الإعراب عن الشعور الإنساني ، وتظل له هذه السمة حينا ، حتى تتحضر الأمة وينتقل الأدب من جو الطبيعة الطلق إلى حياة المدينة ، بما تشمل من وسائل الحضارة المادية وأسباب الثقافة الذهنية ، فيرتقي الأدب لذلك كله وتتسع جوانبه وتبعد أغراضه ، بيد أن الحضارة المادية التي توفرها المدينة لساكنيها ولا توفرها الطبيعة للمتبدين ، ربما طغت فأفسدت على القوم حياتهم ؛ وكذلك الثقافة العقلية التي في ظلها يرتقي الأدب رقيا عظيما ربما زيفت على الإنسان شعوره ، وتعاونت مع تلك الحضارة المادية على إفساد الأدب بتغليب الصنعة والتكلف فيه على الإحساس الصادق ، وتكبيله بالتقاليد والأوضاع ، وتضييق حدوده وسد آفاقه ، وإيلاء الألفاظ فيه المكانة الأولى دون المعاني

إذا بلغ الأدب هذا الطور الصناعي التقليدي انحط ولم يعد يسير إلا من تدهور إلى تدهور ، وصار الأدب المتبدي على سذاجته أرقى منه وأصدق ، ولم يعد للأدب الذي غلبت عليه الصناعة من سبيل للنهوض ، إلا الرجوع إلى الطبيعة والاقتباس من الأدب البدوي المرسل الطبع ، والاطلاع على آداب الأمم الأخرى التي لم يرهقها التكلف ولم تفسدها الصنعة ، بهذا وحده يتأتى له معاودة الحياة وأن يعود ترجمانا صادقا مبينا لها ، وبغير تلك العوامل الخارجية هيهات أن ينهض الأدب العاثر من سقطته ، وإنما يزداد إمعانا في التكلف السمج جيلا بعد جيل ، وإغراقا في اختراع كاذب الأخيلة والأحاسيس ومزجها بألاعيب الألفاظ ، والخروج بكل ذلك عن كل ما يسيغه ذوق أو يقبله عقل

فحياة الطبيعة المطلقة في أعنتها ، وحياة المدينة ذات الحضارة والثقافة ، تتنازعان الأدب وتؤثر كل منهما فيه تأثيرا خاصا ، ولكل منهما مزايا هي قادرة على إيداعها الأدب : تمنحه الطبيعة شتى مناظر جمالها وصدق شعورها وبعيد آفاقها وروائع أسرارها ومخاوفها ،

وتمنحه المدينة وسائل التفكير العميق والنظر الثاقب والطموح إلى المثل العليا، وأسباب الإنشاء الأدبي الفني والجهد الأدبي المتصل، والتفنن في ابتكار صور الأدب وأوضاعه، والخير كل الخير أن يأخذ الأدب من كلتا الناحيتين بنصيب، والأدب الذي اجتمع له رحب الطبيعة وحرارة شعورها وجمالها، إلى ثقافة المدينة ووسائل التوفر الأدبي فيها، أدب لاشك بالغ من الرقي غاياته؛ أما الأدب المتبدى فيظل على صدقه وجماله قاصرا ساذجا، وأما أدب المدينة الذي بالغ في الانغمار في جوها وأهمل جانب الطبيعة، فسائر إلى الفساد والانحلال لا محالة

والرومانسية هي الصفة التي ينعت بها عادة الأدب الذي يؤثر جانب الطبيعة، ويحفل بمظاهر عبادتها والتأمل في ظواهرها ووصف مشاهدها والسبح في آفاقها، يؤثر كل ذلك على اللفظ فلا يهتم بهذا إلا بقدر ما يستخرجه في إيضاح أغراضه. وعلى حياة المدينة فلا تستغرق شؤون السياسة وعلاقة رجله برجالها ورجال البلاط والحرب كل جهده والتفاته، ولا يصرفه الحاضر عن الولوع بالماضي والتأمل فيه وفي المستقبل، ولا ريب أن ذلك لا يعني إهماله لجانب الحضارة والثقافة، بل هو بهما شديد الولوع ويدرس ماضيهما ومستقبلهما شديد التشغف؛ والكلاسية هي النعت الذي يطلق على الأدب الذي استغرقته حياة المدينة وشغلها عن جانب الطبيعة وانغمر فيها رجاله، في مجتمعها ومنتدياتها ومعاركها السياسية والحزبية والشخصية، وآثر التأنق في اللفظ والشكل الأدبي وكفكف العاطفة لتحل محلها الذكاء والبراعة واللباقة، وضيق مجالات القول وحدد أغراضه، وكل هاتيك صفات ولوازم تعلق بالمجتمع المترف وتنعكس عنه في الأدب

وقد كانت الصفة الرومانسية هي الغالبة على الأدب الإغريقي في عهد عظمته، لأنه ترعرع في مجتمع قريب من البداوة، وفي حياة شديدة النشاط مطردة الحركة، تجيش بالمغامرة والجلاد، وفي حرية في الفكر والسياسة. أما الأدب اللاتيني فكان أكثر اصطباغا بالكلاسية لأنه لم يبلغ ذروته إلا في ظل الملكية المطلقة والامبراطورية الموطدة المستقرة. فكان أدب مدينة وثقافة متأنقة، واشتهر أعلامه كفرجيل بإحكام الأسلوب والتشبث بمبادىء وتقاليد أدبية خاصة، وما زالت إلياذة هومير وإنياذ فرجيل موضوع مقابلة من هذه الناحية. وكان أدباء الانجليزية أكثر احتفالا باللاتينيين واقتداء بهم في العصر الكلاسي في الأدب الإنجليزي، كما كانوا في عهده الرومانسي أميل إلى اليونان وأكثر تغنيا بآثارهم، وبعدم اطلاع الأدب العربي على الأدب اليوناني فقد هذا العنصر الرومانسي الذي أصبح في حاجة إليه، حين انتقل إلى المدينة وشغل بآثار الحضارة والثقافة

وقد كانت الرومانسية هي الصفة الغالبة على الأدب الإنجليزي في العصر الإليزابيثي؛ ففي ذلك العهد كانت البساطة والخشونة تسودان المجتمع والبلاط؛ والحركة والنشاط والتطلع تتجلى في شتى نواحي الحياة: في العلم والأدب والكشف والمخاطرة والحرب. كان عهد نهضة تتحفز وتستشرف إلى الجديد وترمى إلى التوسع، لا تقنع بالقليل الحاضر ولا تقبل القيود والحدود؛ وزمن شباب يولع بالقوة والجلاد ويبرم بالأنيار والأقياد، فهو لا يرضاها في الأدب؛ ومن ثم جاء أدب ذلك العصر غزير المادة متلاطم العباب مترامي الآفاق، جياشا بشتى العواطف والمعاني، حافلا بمختلف الأوضاع الأدبية والمذاهب الفنية، لم يتقيد رجاله بتقاليد فنية غير معقولة: فعلى حين تقيد أدباء الفرنسية بالوحدات الثلاث التي أثرت عن الدرامة الإغريقية، انتفع الأدب الإنجليزي بخير ما في تلك الدرامة وضرب بتلك الوحدات عرض الحائط؛ ولم يتقيد بألفاظ خاصة في الشعر، مما أصبح فيما بعد يسمى «الألفاظ الشعرية»، بل زاد على استعمال كل ما في لغة الكتب أن اقتبس من لغة العامة واصطنع بعض ألفاظ اللغات الأجنبية، واشتق ماراقه من ألفاظ. وأخرج هذا العصر الحافل كبير شعراء الانجليزية شكسبير، وأنجب بجانبه أحد كبراء شعرائها سبنسر، وامتد هذا العصر حتى انتهى بظهور علم ثالث من أعلامها هو ملتون

تصرم ذلك العهد المملوء بالحرية والنشاط والجرأة والفتوة، وتلاه عصر كلاسي طويل، بين أواخر القرن السابع عشر وأواخر القرن الذي يليه، خمدت فيه روح المغامرة والتطلع التي كانت متنبهة في عصر اليزابث، واستراح الناس إلى حياة المدينة ومنتدياتها، وانغمر الأدباء في المعارك الأدبية فيما بينهم، فكان نزاع بين كل من دريدن وأديسون وستيل وديفو وسويفت ومعاصريهم، محتدم حينا ومترفق حينا، ومعلن تارة ومستتر أخرى؛ وانغمروا كذلك في المشادات السياسية وانضووا تحت ألوية الأحزاب، وشجعهم رجال تلك الأحزاب على الانخراط في سلكهم والذود عن مبادئهم بأقلامهم، فكان سويفت في صف المحافظين، وأديسون في جانب الأحرار، وكان ستيل يختلف من هؤلاء إلى أولئك. وخلا أدب ذلك العصر أو كاد من ذكر الطبيعة ومجاليها، وحتى أولئك الأدباء الذين كانوا يرحلون إلى الأقطار الأجنبية، لم تكن تحرك نفوسهم مناظرها الجديدة، فكانوا يتناولون في رسائلهم إلى أصدقائهم في الوطن شتى

المواضيع ماعداها . واهتم أدباء ذلك العهد باللفظ كل اهتمام وقدموه صراحة على المعنى ، وجعلوا للشعر ألفاظا لا يتعداها ومواضيع لايتخطاها ، واتخذوا للشعر وزنا واحدا مزدوج القافية لم يكد أحد ينظم فى سواه ، وقلدوا الأقدمين من أدباء الاغريقية واللاتينية ونقادهما ، وانصاعوا لمبادئهم انصياعا أعمى ؛ وبهذا كله ضاقت حدود الادب ضيقا شديدا ، وأرهقه التكلف وفدحته القيود ، فسار إلى الانحلال

وزعيم هذا المذهب الكلاسى الذى بلغ أوجه على يديه هو بوب الذى نال الغاية من إحكام اللفظ ، وقد قال عنه بعض مترجميه إن شعره ليس إلا نثرا جيد النظم ، وذلك حق : فهو يتناول فى شعره مواضيع هى أقرب إلى النثر وأبعد عن الخيال والشاعرية ؛ وكان يسمى بعض قصائده «مقالات» ، ومنها مقالته فى النقد التى نظم فيها مبادىء المذهب الكلاسى فى الأدب ونقده ، فظلت مرجعاً لمن تلاه من شعراء المذهب ، ومنها يقول : «تعلم إذن التقدير الحق لمبادىء الأقدمين ، فمحاكاتها هى محاكاة للطبيعة ، فتلك المبادىء القديمة — التى إنما اكتشفت ولم تخترع — إن هى إلا الطبيعة ؛ غير أنها الطبيعة منظمة مهذبة» ، وقد ترجم بوب إلياذة هوميروس ترجمة قدسها معاصروه ، ولكننا قلما نذكرها الآن أو يعتمد عليها أو تعد صورة صحيحة لشعر هوميروس ، إذ كان من المستحيل على أديب مشبع بالروح الكلاسى أن يخلص إلى روح الشاعر الاغريقى الرومانسى ؛ ثم دبت فى المجتمع الانجليزى روح جديدة ، وانتعش الأدب الانجليزى من خموله باطلاعه على آداب الأمم الأخرى الناهضة كالأدب الالمانى ، والعودة إلى صدر الطبيعة الرحب الحافل بالأسرار والحياة والوحى . تمخض كل ذلك فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل الذى يليه عن نهضة رومانسية جديدة فكت الأدب من عقاله ونبهت الشعر من غفوته ، ورحبت آفاقه وبسطت جوانبه ، وسبحت به فى آماد الكون والطبيعة والانسانية ، وأنجبت هذه النهضة جمهرة أخرى من أفذاذ الأدب الانجليزى : أنجبت وردزورث وبليك وكولردج ، ثم بيرون وشلى وكيتس ، ثم تنيسون وبراونتج ، عدا من أخرجت من أفذاذ النثر الذين جاء نثرهم حافلا بمظاهر النهضة الجديدة ؛ ولا غرو : فى العهود الرومانسية يتجلى الروح الشعرى حتى فى النثر ، وفى العصور الكلاسية يفيض الروح الشعرى حتى فى النظم ؛ وما تزال تلك النزعة الرومانسية ملحوظة فى الأدب الانجليزى ، على ما داخله من نزعة واقعية ، وإقبال على درس مسائل المجتمع كافة

والعصر الرومانسى فى الأدب العربى هو ولا شك عصر الجاهلية والعهد الراشدى وصدر العصر الأموى : فى تلك العهود وكان المجتمع العربى أدنى إلى البساطة والتبدى ، وكان الأدب مرسل السجية صادق التعبير عن خلجات النفوس : من حزن وطرب ولذة وألم ، وحب وبغض وحماسة ووصف ، خاليا فى أكثر نواحيه من مظاهر التكلف اللفظى أو التعمل فى المعنى أو التصنع فى الموضوع . وما تزال لحكم بعض الأعراب والأعرابيات ومراثيهم ، وحماسيات قطرى بن الفجاءة وغزليات جميل وقيس ، روعة فى النفوس وغبطة شاملة ، لصدورها عن طبع سليم وشعور صميم ؛ هذا على رغم بساطة ذلك الأدب وخلوه من مظاهر التثقف والتعمق فى التفكير

تجرم ذلك العصر بطول عهد العرب بالحضارة والثقافة ، ومهدت حضارة المدينة وثقافتها من أسباب القول ودواعى النظم ووسائل التفنن الأدبى ما لم يتوفر فى البادية ، فنشأ من ذلك أدب جديد يفوق أدب العصر السالف تعدد مواضع وعمق نظرة ووفرة محصول ، وتجلى ذلك فى خير آثار ابن الرومى والطائى والمتنبى والمعرى ، والجاحظ والبديع والجرجانى وأضرابهم . على أن الأدب فى طوره هذا انغمر فى جو المدينة انغمارا تاماً ، فكان هذا عهداً كلاسيا صميما : فيه تزايد ولوع الأدباء تدريجاً باللفظ . واحتفاؤهم به ، ثم استعبادهم أنفسهم له وللأوضاع والمبادىء الموروثة عن المتقدمين . وضاقت مواضيع القول رويداً رويداً وكبلها التكلف والاغراب ، وتجمع الأدباء حول موائد الأمراء ورجال السياسة والحكم والحرب ، وخاضوا غمار مشاحناتهم ، وتشاحنوا هم أنفسهم فيما بينهم ، وهى مشاحنات تذكرنا بحملات سويفت ودريدن على الوزراء والقواد فى عصرهما ، وحملاتهما على غيرهما من الأدباء ، فمن هجاء الوزراء قول دعبل فى وزير المأمون :

أولى الأمور بضيعة وفساد ... أمر يدبره أبو عباد
يسطو على جلاسه بدواته ... فمضمخ بدم ونضح مداد

ومن تهاجى الشعراء قول ابن الرومى فى البحترى :

أف لأشياء يأتى البحترى بها ... من شعره الغث بعد الكد والتعب
البحترى ذنوب الوجه نعرفه ... وما عهدنا ذنوب الوجه ذا أدب

وقول المتنبى فى معاصريه :

أفى كل يوم تحت ضبنى شويعر ... ضعيف يقاوينى ، قصير يطاول ؟
وكم جاهل بى وهو يجهل جهله ... ويجهل علمى أنه بى جاهل

فى ذلك العصر الكلاسى الطويل أعرض الشعراء إعراضاً يكاد يكون تاماً عن الطبيعة وحديثها ومجاليها ، وأقبلوا على حياة المدينة أى إقبال . وما منهم من لم يمل أبعد من أن ينال النجاح فيما تهيئه

لأبنائها من أسباب اللذة والمتعة والشهرة ، فكان منهم طامح إلى الملك كالمتنبي والشريف الرضى ، وحريص على الوزارة كالصاحب وابن العميد ، وراغب فى الولاية حظى بها كالطائى وقصر عنها كابن الرومى ، ومغتبط بالحظوة والمنادمة كأبى العتاهية والبحترى ، وغير هؤلاء وأولئك ممن سعوا سعيهم ولم ينالوا مثل شهرتهم ؛ وممن طمحوا فيما هو دون ذلك من متعات الحياة . ونظير ذلك كله تراه فى العصر الكلاسى الانجليزى سالف الذكر : فقد تقلب دريدن بين الأحزاب وحرص على الحظوة فى البلاط ، وتدرج أديسون فى المناصب حتى صار وزيراً للخارجية ، ولم يقنع سويفت بما تولى من مناصب فى الكنيسه ، وكان إخفاقه فى مطامعه البعيدة أحد أسباب نقمته وتشاؤمه

وتجلت هذه الصفة الكلاسية فى الأدب ذاته : حددت مواضيعه وقصرت على ما اتصل بالحاضر القريب من شؤون الحياة فى المدينة ، وأهملت المواضع الرومانسية الصبغة ، كالالتفات إلى الماضى واستعراض حوادثه الطريفة واتخاذها مادة للنظم والنثر ، ومعالجة خرافاته واستلهامها مابها من معانى الجمال والعظمة والبطولة ، وأهملت أحاديث الرحلات وأوصاف البلاد البعيدة والأصقاع المجهولة ، ما وجد منها فى الحقيقة وما يتخيله الشاعر ، وكفكف الخيال ونبذت آثاره من عالم الأدب .

خلا الأدب العربى فى ذلك العهد من كل هذه المواضيع ، وهى من صميم الشعر ولباب الفن وجوهر الأدب إذا ما تحضر أهلوه وانتفعوا بالثقافة ، وإنما تركت هذه المواضيع الجليلة للأدب العامى ، فظل الأدب الفصيح أدباً كلاسياً وصار الأدب العامى هو الممثل للرومانسية

دام ذلك العصر الكلاسى الطويل فى الأدب العربى طوال عهد ارتقاء الأدب ، أى زهاء ثلاثة قرون ، ثم طوال عهد انحطاطه أى إلى العصر الحديث ، لم تعقبه خلال تلك الأجيال المتوالية نهضة رومانسية تخفف من غلوائه وتصلح من فساده ، وتقيم ما اعوج من مبادئه الأدبية ، وتعود به إلى الطبيعة التى هجرها واستغرق فى النوم فى أحضان المدينة : لم تنبعث فيه تلك النهضة التى انبعثت فى الأدب الانجليزى فى أعقاب القرن الثامن عشر ، حين بلغ العهد الكلاسى مداه من التحكم فى أساليب الأدب . وبلغ الأدب الدرك من الاسفاف والامحال ؛ ذلك لأن الأدب العربى كانت تعوزه تلك العوامل التى تساعد على النهضة وتعاون على الرجوع إلى الطبيعة وتنبت الميل الرومانسى ، فكان استمرار النزعة الكلاسية المحتدمة فى الأدب أكبر أسباب تدهوره الطويل .

فالأدب العربى لم يكن على اتصال بآداب أجنبية فيأخذ عنها حب الطبيعة وإيثار البساطة ، ويلتفت باطلاعه عليها إلى حقائق الحياة الكثيرة التى أهملها ، وهو لم يكن يتنازل فيتصل بآداب العامة وأقاصيص الزراع والرعاة ، التى تنسم فيها نسائم الطبيعة والبساطة والشعور الصميم ، وهو لم يكن يرجع إلى ماضيه الرومانسى الذى سبقت الاشارة إليه ، فينظر فيه نظرة حرة مميزة ، تستخلص اللباب وتنظر من خلاله إلى حقائق الحياة ، إنما يرجع إليه طلبا للاسلوب واللفظ ، دون المعنى والموضوع ، كان يعده كنز لغة فصيحة الأساليب والألفاظ لا كنز حقائق منتزعة من الحياة الصميمة . فاذا نظر إلى المعانى حاول حكايتها وتقليدها تقليداً كاملا على ماهى عليه ، أى حاول الأديب أن يحيا فى أدبه حياة البدو ويشعرهم بشعورهم كله ، وكان الأجدر أن ينبذ ذلك جميعا ، ولا يهتم إلا بصدق تعبير أولئك المتقدمين عن شعورهم ، ووجوب صدقه فى تعبيره عن شعوره الصحيح ، فى عصره وحياته المخالفين لما كان قبله

ظل هذا المذهب الكلاسى التقليدى سائداً الأدب العربى ، يقلد المتأخر المتقدم ويزيد عليه تقييدا وتضييقا فى مجالات القول وأوضاعه ، مادام الأدب محجوبا عن غيره من الآداب بعيدا عما جهله أو تجاهله من حقائق الحياة والأدب ، حتى أتيح له الاتصال بالآداب الغربية فى العصر الحديث ، فصحا من غفوته ونفض عنه تدريجا غبار التقليد والتقييد اللفظى والمعنوى ، وفتن بحقائق الكون ومحاسن الطبيعة التى كان عنها فى شغل ، وتناول شتى المواضيع التى كان حرمها على نفسه ، وبالجملة تقشع عنه عصره الكلاسى الطويل ، وأشرق عليه فجر نهضة رومانسية جديدة

فخرى أبو السعود

فوائد قياس الذكاء في التربية

للأستاذ علي محمد فهمي
مدرس التربية التجريبية المساعد بمعهد التربية

تقدم قياس الذكاء منذ الحرب العظمى فذاع استعمال المقاييس في المدارس حتى أصبحت ضرورية لكل مدرسة تعنى بجعل التعليم ملائماً للأطفال . وهذه هي أهم فوائد مقاييس الذكاء والتي لها أثر في تعليم الأطفال وإرشادهم : —

أولا — قياس الذكاء والتعليم المدرسي

تعالج عيوب الامتحانات القديمة بجعلها موضوعية بواسطة المقاييس الدراسية التي تعتبر أحسن وسيلة لقياس معلومات الطلبة وما يحصلونه من العلم والمعرفة . ومقدار التحصيل المدرسي هذا يتوقف إلى حد كبير على الذكاء ، يدلنا على ذلك التجربة التي أجراها الأستاذ سيرل برت Cyril Burt على ٦٨٩ طالباً تتراوح أعمارهم بين السابعة والرابعة عشرة لأثبات العلاقة بين الذكاء والتحصيل المدرسي فوجد أن معامل الارتباط بينهما ٧٤ في المائة ؛ وهذا معامل عال جداً يدل على شدة الاتصال بين الذكاء والتحصيل . ومن هذا كانت معرفة ذكاء التلميذ من الأمور التي تساعد المختبر على تفهم أسباب تقدمه وتأخره . فاذا فرضنا أن تلميذا ضعيفاً في دروسه فان قياس ذكائه يبين لنا إذا كان ضعفه نتيجة غباوة طبيعية أو نتيجة عوامل أخرى كاهمال التلميذ أو عدم ميله للدروس أو عدم ملاءمة البيئة المنزلية للدراسة . الخ

ولأهمية مقاييس الذكاء وضرورتها تستعمل بدل الامتحانات القديمة في بعض الأحيان وتساعد الامتحانات الجديدة في بعض الأحيان الأخرى ، وعلى هذا نجد أن مقاييس الذكاء والمقاييس الدراسية يكمل كل منهما الآخر . من أجل ذلك يتحتم على من يريد قياس التلميذ قياساً مضبوطاً ألا يكتفي بقياسه بالاختبار الدراسي فقط بل يقيسه أيضاً باختبار الذكاء . ويبنى حكمه على نتيجة هذين الاختبارين فيتعرف أولا ميول الطفل الطبيعية ثم يقيس ثانياً ما اكتسبه هذا الطفل عن طريق هذه المواهب

على أنه ليس من الضروري أن نقيس ذكاء الطفل في كل مرة نقيس فيها تحصيله الدراسي ، بل يكفي أن نقيسه عند أول عهده بكل مدرسة يلتحق بها فتساعدنا هذه المعرفة على الحكم عليه .

ولقد استعاضت بعض كليات الجامعات عن امتحانات القبول باختبارات الذكاء فتستعمل الآن كلية كولومبيا اختبار ثورنديك بدل امتحان القبول الذي كانت تعقده في أول كل عام دراسي للطلبة الذين يرغبون الالتحاق بالكلية . ولقد نجحت هذه الطريقة نجاحا كبيراً يدل على ذلك ما قاله الأستاذ هوكس Hawkes عميد الكلية من أن الطريقة الجديدة ، تبين بوضوح ودقة أعظم مما عهدناه في أية طريقة أخرى ما إذا كان الطالب سينجح في جامعة كولومبيا أم لا ،

ثانيا — التوجيه التعليمي

يرجع ازدياد نسبة فشل الطلبة في الامتحانات لعدة أسباب منها عدم ملاءمة الدراسة لكل الأفراد ، إذ أن ما يلائم شخصا لا يلائم الآخر ، ولقد دعت نفس هذه الفكرة في البلاد الأوروبية والأمريكية إلى امتحانات التحصيل المقننة واختبارات الذكاء إذ يمكن من نتائج هذه الاختبارات الحكم على ملاءمة الدراسة للتلميذ أو تغييرها ثم ادماجه في دراسة أخرى أكثر موافقة لمواهبه الطبيعية

وليس هناك شك كما قلنا في أنه يوجد ارتباط وثيق بين مقدار تحصيل الطفل الدراسي وذكائه ، فالطفل الذكي هو الذي يستمر في دراسته بنجاح مطرد ، بينما الطفل الغبي هو الذي يفشل فيها ، ويرجع هذا الارتباط إلى أن الدراسة في الفرق العليا تحتاج لدرجة ذكاء عالية ، وهذا مما يجعل الأغبياء في الغالب يقفون عند حد لا يتعدونه مهما حاولوا التغلب وبذلوا من جهد . ولقد قدر الأستاذ ترمان بأن الذين يقل مستوى ذكائهم عن ٨٠ في المائة لا يتمكنون من أن يدرسوا بعد الدراسة الابتدائية ، فاذا ما انتقلت هذه الفئة إلى دراسة تحتاج لمستوى ذكاء أكبر من هذا المستوى تكرر فشلهم ، وعلى هذا يجب أن يوجهوا إلى دراسات أخرى ، وهذا هو السر في بعض حالات لا يتيسر لسوى المشتغلين بالذكاء أن يكشفوها . فكم من طالب مثلا كان في دراسته الابتدائية ناجحا لا يفشل في سنة من سنيه الدراسية حتى يعتقد والداه والمتصلون به أنه ذكي ، ومثل هذا الصنف من الطلبة إذا ذهب إلى المدارس الثانوية وجد صعوبات كثيرة في الدراسة خصوصا الدروس المجردة والتي تحتاج إلى تفكير عميق كالجبر والرياضة . الخ إذ في الغالب تتطلب هذه المواد ذكاء أكبر من ذكائه فيتكرر رسوبه ووالداه من ذلك في دهشة ، ولكن الاختبارات كفيلة ببيان السر في ذلك

وقد أجرى الأستاذ ترمان اختباراته الكثيرة لتعيين المستويات التي تتطلبها الدراسات المختلفة فوجد أن الدراسة الثانوية تحتاج لنسبة ذكاء لا تقل عن ٩٠ في المائة أما الدراسة العليا فتحتاج إلى نسبة ذكاء لا تقل عن ١٠٠ ٪ وهناك تقسيم أدق من هذا للأستاذ اسماعيل القباني ؛ فمن تتراوح نسبة ذكائهم بين ٧٠ و ٨٠ يتأخرون في دراسة التعليم الابتدائي ولا يمكنهم إتمام الدراسة الثانوية ، وما بين ٨٠ ، ٩٠ يمرون في الدراسة الابتدائية في مدة أقل من الفريق الأول ويرجح ألا يمروا في الدراسة الثانوية ، وما بين ٩٠ و ١١٠ عاديون يتممون

الدراسة الابتدائية بسهولة ويستطيعون أن يمروا فى الثانوى بصعوبة ، وما بين ١١٠ - ١٢٠ يمرون فى الدراسة الثانوية بسهولة ، ومن ١٢٠ فأكثر يسهل عليهم الدراسة العليا .

ثالثاً — التوجيه المهنى

يجب أن نميز بين الاختبار المهنى والتوجيه المهنى ، فالأول هو اختبار الشخص المناسب لمهنة ما والتوجيه المهنى هو اختبار المهنة المناسبة لشخص ما أو هو تسيير الشباب بنين وبنات نحو المهنة التى تتفق أكثر مايكون ومؤهلاتهم الفطرية ، وأهمية هذا التوجيه فى تقدم البلاد وإسعادها لا تنكر . وليس معنى التوجيه فى المهنة أنه يبدأ عند انتهاء التلاميذ من دراساتهم ، إذ أن الارشاد التعليمى هو أول خطوة للتوجيه المهنى كما أن ما ينادى به علماء العصر الحاضر هو تدريب الطالب على المهنة التى سيزاولها فى المستقبل أثناء مدة الدراسة

قيمة التوجيه المهنى والفائدة من وضع الفرد فى العمل الذى يليق به وبمواهبه الطبيعية لاتقتصر على الفرد نفسه بل تعود عليه وعلى الأمة بالنفع الجزيل ، وإن الحاجة للتوجيه المهنى أصبحت حاجة العصر الحديث بعد الاختراعات الحديثة وانتشار الصناعة التى تتطلب الآن صفات خاصة

كيف نقوم بالتوجيه المهنى : تختلف المهن من حيث ما تتطلبه من ذكاء كما دلت على ذلك الأبحاث الحديثة فيقسمها الأستاذ ترمان إلى ثلاثة أقسام : (١) مهن تحتاج لمقدار كبير من الذكاء (٢) مهن تحتاج لذكاء متوسط (٣) مهن لا تحتاج لذكاء . ومن الأبحاث القيمة التى تهمنا فى هذا الموضوع بحث Yerkes فقد أوجد العلاقة بين مراتب الذكاء المختلفة والمهن المتعددة وقال إن النجاح فى مهنة ما لا يتيسر لكل شخص إذا كان الذكاء دون المستوى المعين . ومن هذا يتبين قيمة التوجيه المهنى وكيف أنه يعمل لمصلحة الفرد والمجتمع فى آن واحد . ولقد اهتم بإيجاد مستويات الذكاء للمهن المختلفة كثير من العلماء . ولقد ذكر الأستاذ ترمان أنه يجب ألا يشجع أى شخص إذا كانت درجة ذكائه أقل من ١٠٠ لأن يمتهن مهنة من المهن الراقية التى ذكرها وهى تشمل الأطباء وقادة الرأى والمربين والمهندسين وأصحاب المشروعات والكتاب . فالنجاح فى مثل هذه المهن لا يمكن أن يحصل عليه إلا من كانت درجة ذكائهم أعلى من ١١٥ - ١٢٥ ولقد أجرى الأستاذ فلاندر Flander عدة تجارب استخلص منها أن من كان ذكاؤهم يتراوح بين ٧٠ و ٨٠ يمكنهم أن يتخذوا الأعمال الآلية مهنة لهم ؛ فعلاقة الذكاء بالتوجيه المهنى حينئذ تقع فى تحديد مستوى الذكاء المهنى الذى يمكن الفرد من النجاح . وهكذا نجد أن اختبارات الذكاء تفيد فى تحديد العمل الذى يمكن أن يؤديه الشخص على أحسن ما يمكن . على أن هناك أشياء أخرى يجب دراستها لتوجيه الفرد توجيهاً مهنياً وهى : (١) القدرات الخاصة (٢) التحصيل المدرسى (٣) البيئة المنزلية (٤) الميول والمزاج (٥) الصحة والقدرات الجسمية (من حيث القوة والسرعة والدقة)

رابعاً — تقسيم التلاميذ إلى فرق وفصول

يقسم بعض نظار المدارس فى مصر التلاميذ إلى فصول مراعيا ترتيب أسمائهم حسب ترتيب الحروف الأبجدية ، ويراعى البعض الآخر أجسام التلاميذ ويرتبهم حسب أطوالهم فيضع الصغار فى فصول والكبار فى أخرى ، ويقسمهم البعض الآخر حسب ترتيب أعمارهم الزمنية . وقد ظهر فساد هذه الطرق بعد أن قسنا ذكاء عدد كبير من التلاميذ وتبين لنا أن القوة العقلية لبعض التلاميذ فى فصل من فصول السنة الثانية الابتدائية كانت تعادل قوة التلميذ المتوسط الذى عمره ١٣ سنة فى حين أن القوة العقلية لتلاميذ آخرين أقل من قوة الطفل الذى عمره ٧ سنين . وفى فصل من فصول السنة الثالثة بمدرسة أخرى وجدنا تلاميذ تعادل قوتهم قوة الطفل المتوسط من سن ٨ سنوات وآخرين قوتهم العقلية تزيد على قوة التلميذ المتوسط من سن ١٤ سنة وهكذا فى سائر الفصول

ولا يخفى ما فى هذا من الأثر السيء على كل من التلاميذ الأذكياء والأغبياء الذين يضطرهم اجتماعهم فى فصل واحد إلى السير إما حسب سرعة الأول ومقدرته فيعجز الأغبياء عن متابعتهم ، وإن أجهدوا أنفسهم فلن يستمروا فى ذلك طويلا حتى يضنيهم الاجهاد فتثبط هممهم ؛ وإما حسب سرعة الآخرين ومقدرتهم فلا يجد الأذكياء مايستعملون فيه قواهم العقلية فتثبط هممهم أيضاً ، والنزعة الحديثة فى التربية تميل إلى جعل المدرسة ملائمة لعقول التلاميذ وكفاياتهم فلا يصح أن يجمع فى الفصل الواحد تلاميذ أقوياء ومتوسطون وضعاف إذ يلزم أن يكون تلاميذ الفرقة متجانسين حتى يمكنهم أن يقوموا بعمل مجد . وعلى ذلك فخير طريقة لتقسيم التلاميذ إلى فصول أن نقسمهم حسب نسبة ذكائهم : فنقسم التلاميذ إلى قسمين أو أكثر حسب العمر الزمنى ثم نقسم كل قسم إلى فصول حسب العمر العقلى ، فمن كان عمرهم العقلى متقاربا وضعوا فى فرقة واحدة . فاذا عملنا بهذا نقصت نسبة الرسوب فى الامتحانات إلى أدنى حد ، وبذلك نقضى على أهم عوامل الشكوى . هذا ولنلاحظ أن تقسيم الطلبة إلى فصول مهم جدا فى القسم الابتدائى ، وتقل أهميته فى الثانوية ، وهو غير مهم فى القسم العالى ، وإن كانت نسبة الذكاء شرطا هاما فى الدخول . ويتخذ التقسيم فى القسم العالى حسب الملكات الخاصة

خامساً — انتقاء ضعفاء العقول

واضح من الابحاث السيكولوجية أنه اذا اختبرنا ذكاء عدد من الأشخاص نجد ثلاثة أرباع هذا العدد يقع تقريبا فى وسط المنحنى العادى ويتوزع الباقى على الجانبين ، فالذين على الجانب الأيسر من المنحنى هم ضعفاء العقول والذين على الجانب الأيمن هم الأذكياء .

وضعف العقل يقسم إلى ثلاثة أقسام : (١) عته : وعقلية المعتوه عبارة عن عقلية طفل عادى لا تزيد سنه على ثلاث سنوات (٢) بله : والأبله عبارة عن شخص وقف نمو نموعه عند سن ٧ سنوات (٣) مورون: وهم الأفراد الذين وقف نمو مخهم عند سن ١٢

ويرجع ضعف العقل إلى : (١) عوامل وراثية (٢) وعوامل مكتسبة (٣) وعوامل خارجية . والوراثة هى أهم العوامل المسببة لضعف العقل . فمثلا إذا كان الأب أو الام مجنونا فليس من الضرورى أن يرث الشخص الجنون ، بل يجوز أن يرث رذيلة من الرذائل أو ضعف العقل - ولقد استقصى بعض الاخصائيين ما للوراثة من تأثير فى أبناء الأسرة الواحدة ، فبذل الأستاذ جودار جهدا كبيرا فى تتبع حياة أفراد أسرة واحدة هى أسرة كاليكاك . وقد كان مارتن كاليكاك شابا سليم العقل من أسرة كبيرة تطوع فى الحرب الأهلية الأمريكية ، وكان يتردد على حانة تختلف إليها فتاة ضعيفة العقل توددت إليه فحملت منه سفاحا وولدت له ولدا ضعيف العقل . وفى سنة ١٩١٢ استطاع الأستاذ جودار أن ينتهى من عمله فأحصى أفراد هذه الأسرة فبلغ عددهم ٤٨٠ فردا جاءوا من ذلك الزواج غير الشرعى . وتتبع أحوالهم فوجد أن معظمهم (٩٩ ٪ منهم) عاهر أو فاسق أو سكير أو لص . على أن تلك الحرب لم تكد تنتهى حتى تزوج مارتن بفتاة أخرى سليمة العقل شريفة النسب ، وتتبع الأستاذ جودار ٤٩٦ شخصا من أفراد هذه الأسرة فلم يعثر فيها على شخص ضعيف العقل وإنما وجد أن الأسرة كلها مكونة من أطباء ومحامين ومدرسين ومهندسين وتجار وغيرهم ممن لهم يد عاملة فى الحياة .

وضعاف العقول هؤلاء يربكون نظام التدريس فى المدرسة ويعطلون سير الدراسة ، وذلك لأنهم يختلطون فى الفرق المختلفة مع العاديين والأذكياء . أما فى المجتمع فقد اتضح لنا من نتائج الابحاث التى قام بها الأستاذ جودار فى إصلاحية الأحداث فى الولايات المتحدة بأن سبب سلوكهم الشاذ هو كونهم ضعاف العقول . ومن هنا نجد أن ضعاف العقول يهددون كيان المجتمع ، ولذلك يجب أن نهتم بأمر تربيتهم حتى نخفف وطأتهم ؛ وبقياس الذكاء يمكننا فصل هؤلاء فى فصول خاصة وتعليمهم تعليما يتلاءم مع درجة ذكائهم

ونسبة الذكاء هى الأساس السيكولوجى الذى يبنى عليه المربى تعليمه لضعفاء العقول ، ويجب على المربى الذى يقوم بأمر تربيتهم أن يعين ذكاء كل واحد حتى يستطيع وضع طريقة تتفق مع قدرة كل منهم العقلية ، ويستطيع أن يعين الموضوعات التى يمكن أن يتعلمها ضعيف العقل فى هذا العمر المعين

ولا يمكن أن يعلم هؤلاء الضعفاء أى عمل يحتاج إلى درجة من الذكاء أعلى من مستواهم . وقد حاول كثير من المدرسين ذلك فلم يستطيعوا . وكذلك فكرة تعليم هؤلاء الضعفاء حتى ترتقى عقليتهم إلى المستوى العادى فكرة خاطئة ، ولكن توصل بعض الأطباء إلى إعادة بعض ضعفاء العقول إلى المستوى العادى ، وذلك فى الحالات التى لا تنتمى إلى ضعف عقلى وراثى ، وإنما ترجع إلى وقوف النمو عندهم بعامل من العوامل الخارجية . ومع كل فان هذه الحالات نادرة جداً ، كما أنه لا يمكن للمربى أن يضيف شيئا إلى نسبة ذكاء ضعيف العقل وإنما كل ما يستطيعه المربى من تعليم ضعيف العقل هو تكوين عادات خاصة حتى لا يكون شراً ووبالا على المجتمع ؛ وهنا نجد ضرورة تحديد نسبة الذكاء اللازمة لكل عمل أو موضوع يضعه المربى ليتأكد من أن استعداد ضعيف العقل يتمشى مع طبيعة هذا العمل الموضوع له ؛ وقد توصل بعض العلماء أخيراً إلى ذلك . وعلى العموم يجب أن يكون نظام الدراسة فى مدارس ضعاف العقول قائما على اختيار المواد العملية النافعة والتعليم الحسن ، أما العلوم التى تستدعى التفكير المجرد النظرى ، وفهم الرموز فلا فائدة ترجى لهم منها

سادساً — انتقاء التلاميذ الموهوبين

من النوابغ من إذا وضع فى فصول عادية نجدهم متأخرين فى عملهم الدراسى ؛ ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة : منها الكسل مثلا ، أو عدم الاهتمام بالدروس لسهولة المادة وطول الشرح . والواجب يقضى علينا أن نبحث عن هؤلاء النوابغ وندرسهم درساً وافياً حتى يتسنى لنا تربيتهم بطرق تناسب قواهم العقلية وتهيئة الظروف لهم لإيقاظ نواحى النبوغ فيهم وذلك لأنهم هم الأسس التى تبنى الأمة عليها مدنيتها ، فمن بين الأطفال النوابغ توجد الأرواح الحية الفعالة التى تتولى زمام المدنية وقيادتها فيما بعد ، وعلى ذلك فتربية الطفل النابغة يجب أن تفصل عن غيره حتى تتمكن من توجيهه إلى ما فيه خيره وخير المجتمع الذى سيعيش فيه .

ومقاييس الذكاء هى من الاختبارات التى تكشف لنا عن هذه الفئة فلا يختار لفصول الأطفال النوابغ من كان أقل من ١٤٠ . ويقول الأستاذ هورن Horn إن التلاميذ النوابغ يجنون كثيرا إذا ماساروا فى كل المواضيع إلى مستوى أعمق وبطرق مفصلة أكثر من التلاميذ المتوسطين ، فالنابغة لا يقبل الحقائق والمعلومات كما هى وإنما يحاول أن يرجعها إلى أصولها ومسبباتها وإلى النتائج المشتقة منها كما أنهم يميلون أكثر الى المواد المعنوية .

وقد كان الرأى السائد أن الموهوب يكون عادة ضعيف الجسم أو عصبى المزاج أو يمتاز بشذوذ فى الناحية الخلقية أو العقلية ، ولكن الأستاذ ترمان كان أول من خطأ هذا الرأى باظهاره أن الأطفال الموهوبين لا يقلون عن إخوانهم العاديين سواء أكان فى الصحة أم فى الحالة العصبية ؟

علي محمد فهمي

١٦ - تاريخ الأدب العربي

للأستاذ رينولد نيكلسون

الجاهلية : شعرها وعاداتها ودياناتها

ترجمة حسن حبشي

ومع ذلك فلا يجرؤ شيوخ العشيرة على فرض أوامرهم فرضا ، أو إنزال العقوبات برجالها ، إذ كان كل منهم ولى نفسه وسيدها ، وله الحق أن يقتص ممن يناله بسوء :

فإن كنتَ سيّدَنا سُدتنا
وإنْ كنتَ لِلخَالِ فاذهبْ فخَلْ (١)

ولم يكن معنى الوفاء عند العربي الوثني الخضوع لرؤسائه ، ولكن المساعدة الصادقة لمساويه وأنداده ، وكان قوى الصلة بفكرة القرابة ، وإن القبيلة أو العائلة التي تشتمل على غرباء عاشوا في ظلها ، واستظلوا بحمايتها ، فان الذب عن هؤلاء أفرادا أو جماعات من أقدس الواجبات اللازم احترامها ، كما كان الشرف يقضي على الرجل منهم أن يقف بجانب قومه فيما جل من أمرها أو حقر

وَهلْ أنَا إلاَّ مِنْ غزيَّةَ إن غوَت
غَويتُ وَإنْ تَرْشُدْ غزيَّةُ أرْشُدِ ؟ (٢)

كما يقول دريد بن الصمة الذي تابع عشيرته بالرغم من رأيه المصيب في غزوة كلفته رأس أخيه « عبد الله » وإذا نشد رجال القبيلة العون من أقاربهم فسرعان ما يُلَبَّى نداؤهم دون اهتمام بقيمة الأمر الذي يقدمون من أجله المعونة ، فاذا أسيء التصرف فيها تحملوا مغبّة ذلك طويلا قبل أن يعودوا إلى مكانتهم السالفة وإن انتفاعهم بالصداقة ليتضح بجلاء من هذه الأبيات التالية (٣) :

(١) الحماسة ١٢٢ (٢) الحماسة ٣٧٨ .

(٣) الأبيات التي يذكرها المؤلف لقراد بن العيار وكان ابوه شيطانا من شياطين العرب وهو القائل :

ولا نرعي المرون ولا المرينا | إذا خارت ضغابيس الرجال
بنا يستعطف الأمر المولى | ويحسم داء ذى الداء العضال
ونخطم انف كل جعاظري | شموخ الأنف ينظر من معال

(المترجم)

فَآخِ لِحَالِ السِّلمِ مَنْ شِئْتَ وَاعلَمَنْ
بأنَّ سِوَى مَوْلاكَ فى الحرْبِ أجْنَبُ
وَمَوْلاكَ مَوْلاكَ الذِى ان دعوْته
أجَابَكَ طَوْعاً وَالدِّمَاءِ تَصبَّبُ
فلاَ تخذُلِ المَوْلى وإنْ كَانَ ظالِماً
فإنَّ بِهِ تُثأى الأمورُ وتُرأبُ (١)

وبالرغم من ذوقهم الجاف ، فليس ثمت ما هو أخص في العرب الجاهليين والمسلمين على السواء من روح الفروسية والتضحية بالنفس لنجدة الصديق حتى ولو لم تكن هناك أية فائدة شخصية من وراء هذه التضحية ، ويقدّم لنا الشعر القديم البراهين الجمّة على أنهم كانوا يمقتون نكث العهد الذي اتفق عليه بين التاجر وعميله ، أو الضيف ومضيفه ، وأدب العرب زاخر بالشواهد الجمة على صدق هذا الفضل ، وأقرب مثال إلى ذلك قصة السموأل الذي يضرب به المثل في الوفاء فيقال هو « أوفى من السموأل » أو « وفاء كوفاء السموأل » ويقال إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق ، واحتفر فيه بئرا عذبة ، وكانت العرب تنزل به فيضيفها ، وتمتار من حصنه . ويقال إن امرأ القيس لما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل ومعه أدراع كانت لأبيه ورحل إلى الشام فوجه ملك الحيرة جيشاً تحت امرة الحرث بن ظالم ثم قال للسموأل « أتعرف هذا ؟ » ، قال نعم هذا بنى . قال : « أفتسلم ما قبلك أم أقتله ؟ » ، قال : « شأنك ، فلست أخفر ذمتى ولا أسلم مال جارى » ، فضرب الحرث وسط الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه فقال السموأل :

وَفيتُ بادرع الكندى إنى إذا ما ذُمَّ أقوام وَفيت
وأوصى عادياً يوماً بالا تهدّم ياسَموأل ما بَنيت
بنى لى عادياً حِصناً حصيناً وماء كلما شئت استقيتُ (٢)

كما أن المثل البدوى الأعلى للكرم والسخاء هو حاتم طيء ، الذي يروى عنه كثير من الأقاصيص المستطرفة ، ويمكننا أن نعرف نظرة البدوى إلى هذا الموضوع مما ذكره الأغاني من أن أم حاتم وهي حبلى رأت في المنام من يقول لها : أغلام سمح يقال له

(١) الحماسة ٣٢٧ (طبعة فريتاج) سنة ١٨٢٦ .

(٢) الأغاني ج ١٩ ص ٩٩ .

حاتم أحب اليك أم عشرة أغلمة كالناس ، ليوث ساعة الباس ، ليسوا بأوغال ولا أنكاس ؟ فقالت حاتم ، فولدت حاتما ، فلما ترعرع جعل يخرج طعامه فان وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال له : الحق بالابل ، ووهب له جارية وفرساً وفلوها ، فلما أتى الابل طفق يبغى الناس فلا يجدهم . ويأتى الطريق فلا يجد عليه أحداً ، فبينا هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق فأتاهم فقالوا : يا فتى هل من قرى ؟ فقال تسألونى عن القرى وقد ترون الابل ؟ وكان الذين بهم عبيد بن الابرص وبشر بن حازم والنابغة الذبيانى ، وكانوا يريدون النعمان فنحر لهم ثلاثه من الابل فقال عبيد : « إنما أردنا بالقرى اللبن ، وكانت تكفينا بكرة إذا كنت لابد متكلفاً لنا شيئاً » فقال حاتم « قد عرفت ولكننى رأيت وجوها مختلفة وألواناً متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى اذا أتى قومه » فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها وذكروا فضله فقال حاتم : « أردت أن أحسن اليكم فكان لكم على الفضل ، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب الابل عن آخرها أو تقسموها » ففعلوا ، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً ومضوا على سفرهم إلى النعمان ، وأن أبا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال له : يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجد الدهر (١)

كما نسمع أن ابنة حاتم قد اقتيدت أسيرة أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت له : « يا محمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلى عنى فلا تشمت بى أحياء العرب فانى بنت سيد قومى ؛ كان أبى يفك العانى ويحمى الذمار ويقرى الضعيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط : أنا بنت حاتم طى » فأجابها الرسول « يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عنه . خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق (٢) »

وكان حاتم شاعراً معروفاً ، وفى ابياته التالية يخاطب زوجه ماوية :

(١) الأغانى ج ١٦ ص ٩٨ س ٥ ــ ٢٢ .
(٢) الأغاني ج ١٦ ص ٩٧ س ١ ــ ٥ .
(٣) قام « F. Schulthess » بتطبيع ديوان حاتم وترجمته والتعليق عليه

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا ابنة ذى البردين (١) والفرس الورد
إذا ماصَنَعْتِ الزَّادَ فالْتمِسى لهُ
أكيلاً فانى لستُ آكـلهُ وَحدِى
أخاً طارقاً أو جارَ بيت فانى
أخاف مُذمَّاتِ الأحاديث من بعدى
وإنى لعَبْد الضيف ما دام نازلاً
وما فىَّ إلا تلك مِن شيمة العبدِ (٢)

« يتبع » حسن حبشي

(١) ذو البردين هو عامر بن أحيمر بن بهدلة ، وحديث البردين أن الوفود اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء فأخرج المنذر بردين يبلو الوفود وقال « ليقم اعز العرب قبيلة فليأخذهما » فقام عامر بن احيمر فأخذهما واتزر بأحدهما وارتدي بالآخر فقال له المنذر « انت اعز العرب قبيلة » قال « العز والعدد فى معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى خندف ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب ثم فى عوف ثم فى بهدلة ، فمن انكر هذا فلينا فرني ، فسكت الناس فقال المنذر « هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى اهل بيتك ؟ وفى نفسك ؟ » قال « انا ابو عشرة واخو عشرة وخال عشرة وعم عشرة ، اما فى نفسي فشاهد العز شاهدى » ثم وضع قدمه فقال « من ازالها عن مكانها فله مائة من الابل » فلم يقم إليه احد من الحاضرين ، ففاز بالبردين فسمى بذى البردين » « الحماسة » المترجم
(٢) الحماسة ٩٤٧

شخصية الزهاوى

بمناسبة مرور عام على وفاته

بقلم السيد احمد المغربى

لسنا نقررُ شيئاً جديداً إذا قلنا بأن الزهاوى كان شخصية فذة متعددة النواحى ، تشهد على مدى نبوغه وعبقريته ، ذلك لأن الزهاوى لم يكن شاعراً مجدداً ، دقيقَ الحس مفتوحَ القلب مُرهَف السمع ، متقد العاطفة ، ثائرَ القلب فحسب ، بل كان إلى هذا كله فيلسوفا تعمق فى دراسة الفلسفة ونفذ إلى ما وراء المادة والطبيعة ، فخبر أحوالها وتفهم ما دق من أسرارها وخفاياها . وكان فى فلسفته متأثراً بأبى العلاء المعرى ، مترسماً خطاه ، متبعاً أساليبه ؛ ونظرة فى ملحمته « ثورة فى الجحيم » ومعارضتها برسالة الغفران ، تؤيد ما نذهب إليه . ولا غروَ فان كلا من الشاعرين الفيلسوفين كان يسخرُ من التقاليد الموروثة ؛ ولماذا نذهب بعيداً والزهاوى نفسُه يعترف بتلمذته عليه وإعجابه به وهو يشكو إليه ما أصابه من ظلم وحيف :

وإن أكبرَ شيء فيك يُعجبنى   سُخرية بتقاليد وعصيانُ
وأنكروا فيك إلحاداً وزندقة   وعلّ ما أنكروه فيك بهتانُ
إنى تلمذتُ فى بيتى عليك وإن   أبلتْ عظامَك أزمان وأزمانُ
أصابنى فى زمانى ما أصابك من   حيف فما ردّ هذا الحيفَ إنسانُ

أما شعرُه فحر طليق ، لا يتقيد بالسلاسل والاغلال ، ينزع فيه نحو الطبيعة المطلقة، مخترقا التقاليد التى ورثها الأبناء عن الآباء ، خالياً من الصناعات اللفظية والخيالات الوهمية ، نزّاعاً إلى التجدد ، ثائراً على النظام ، متمردا على الأوهام

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه   فليس خليقاً أن يقال له شعر
ما الشعر إلا شعورى جئت أعرضه
فانقده نقدا شريفاً غير ذى خللِ
الشعرُ ما عاش دهرا بعد قائله   وسار يجرى على الأفواه كالمثلِ
والشعرُ ما اهتز منه روحُ سامعه
كمن تكهرب من سلك على غفلِ
فيه إلى اليوم ما قلدتُ من أحد   وما على غير نفسى فيه متكلى
أفعمته حكماً تعلو ، وأمثلة   تحلو ، فسُرّ به شعب وصفق لى
وقد أعود به إبان أنظمُه   إذا تذكرت أيامى إلى الغزل

فالزهاوى كان كالبحترى شديدَ الزهو والاعجاب بشعره لأنه مرآة حقيقية تنعكس عليه نفسُه الشفافة وقلبُه الطيب :

إننى إن بكيت أبكى بشعرى   ولقد أهديه إلى الأحقابِ
كل بيت منه إذا عصروه   دمعة ثرّة على الآدابِ
بين شعرى ، وما يجيش بصدرى   من شعور وشائج الأنسابِ
أنا عنه محدث وهو عنى   وكلانا فى القول غيرُ محابِ

***

أما قريضى هذا   فانه نفثاتُ
شعر له من شعورى   والصدق مستنداتُ
وإنما صقلته   الخطوبُ والنكباتُ

والزهاوى ، بالرغم من إعجابه بشعره وإيمانه بأنه شاعر الأجيال وأن شعرَه خالد لا يموت يعترف بأنه لم يكن دائم التحليق ، بل انه كثيرا ما كان يُسِف تبَعاً لحالته النفسية . . .

يا شعرُ أنت سماء   أطير فيها بفكرى
طوراً أُسِف وطورا   أعلو كتحليق نسرِ
ان لم تصور شعورى   فلست يا شعر شعرى
من بعد موتى بحين   سيعلم القومُ قدرى
فقد زففت حياتى   لهم وأفنيتُ عمرى

ويكاد يخلو شعرُ الزهاوى من الغزل والتشبيب ، والتغنى بمحاسن الحبيب ، وتبيان ما يقاسيه المحبون من ضروب الآلام والاسقام ، ووصف ما يتكبدونه من عذاب الهجر ، وألم الحرمان ولوعة الأسى وحلاوة الوصل ، وأكبر الظن أنه لم يُتَح له أن يدخل فى شبابه فى زمرة المحبين ، لانشغاله فى نشر رسالته ، وأما ما نقرؤه فى هذا السبيل فقلما يثيرُ اعجابنا أو يستدر عطفنا ورحمتنا ، وإذا ما تغزل بغادته « ليلى » فانما كان يتغزل بوطنه

ولعلّ خيرَ قصائده الغرامية هى القصيدة التى يصف فيها الحب . . .

أولُ الحب فى القلوب شرَاره   تختفى تارة وتظهرُ تاره
ثم يرقى ، حتى يكون سِراجاً   لذويه ، فيه هدى وإناره
ثم يرقى ، حتى يكون مع الأيـــام ناراً حمراء ذاتَ حرارَه

ثم يرقى، حتى يكون أتوناً ، بحراراته تذوبُ الحجاره
ثم يرقى، حتى يكون حريقاً فيه مَهلكٌ لأهله وخساره
ثم يرقى ، حتى يمثل بركا ناً يرى الناس من بعيد نارَه
ثم يرقى، حتى يكون جحيماً ، عن تفاصيلها تضيق العباره

فأنت تلاحظ أن هذه القصيدة نفسها تغلبُ عليها روح التحليل العلمي الفلسفي ، وما الحبُ إلا عاطفة هوجاء صاخبة عاصفة ، تتبرأ من العلم ، وتتهرب من الفلسفة !!

الزهاوي العالم

وناحية أخرى من شخصية الزهاوي تحتاج إلى عنايتنا واهتمامنا هي الناحية العلمية ، فالزهاوي كان عالماً عبقرياً شُغِفَ بالابحاث العلمية ، ولاسيما فيما يتعلق بالجاذبية . وله في هذا الصدد نظريات وآراء ، إن لم تحُز موافقة العلماء المحدثين ، فهي على الأقل تشهدُ على سعَة اطلاعه ومدى نبوغه ، ذلك لأن الزهاوي لم ينشأ في بيئة علمية ، ولم يتلق العلم في جامعات معروفة بل إن كل ما وصل اليه ،كان نتيجة بحثه وتفكيره . . .

وفي وُسعنا أن نوجز رأى الزهاوي في الجاذبية ، بأن المادة لا تجذب المادة ، بل إن المادة تدفع المادة ، وعلى هذا فان الحجر الذي يسقط على الأرض ، لا يسقط لجذب الأرض إياه ، بل لدفع الموادِ في السماء إلى الأرض .

وهو يعللُ أنواع الجاذبيات بناموس واحد ، وهو دفعُ المادة للمادة بسبب الكترونانها التي تشعها بكثرة . وهو يفسرُ بان الحرارة والنورَ في الشموس يتولدان من الأثير المنعكس عن مراكزها ، بعد جريانها اليها ، حفظاً للموازنة التي لا تزال تختلُ بطرد الالكترونات له من بين الجواهر في كل جسم ، مبيناً أن هذا الأثير الجاري إلى الاجرام هو الذي يدفع الأجسام اليها : فيزعمُ العلماء هذا الدفعَ الخارجي جذباً داخلياً .

ثم يشرح الزهاوي بمبدئه سبب حدوثِ الزلازل ، وحالات ذوات الأذناب فيميط اللثامَ عن توجه أذنابها إلى خلاف جهة الشمس وعن سبب ابتعادها عن الشمس بعد أن تدور حولها دورة ناقصة ، وعن بقاء القوة ، وعن حقيقة الشمس وهو ينكر انحلال الشموس إلى السدم منكراً تولدها منها .

فلسفة الزهاوي - تحليل « ثورة في الجحيم »

لعل فلسفة فقيدنا الكبير أظهر ما تكون في ملحمته الشهيرة « ثورة في الجحيم » ، وهي تحفة فنيـة خالدة أثبت فيها آراءه الفلسفية ومعتقداته الدينية ونزعاته الاصلاحية ، ولسنا نغالي إذ نقرر بأنها صورة حية صادقة للمبادىء السامية والمثل العليا التي وقف الزهاوي حياته على تحقيقها غير مكترث لما يعترض سبيله من العقبات ، بل إن هذه العقبات ما كانت إلا لتزيد عزيمته مضاء وإيمانه إيماناً بتلك الرسالة المقدسة التي عمل على نشرها بين قومه .

وتتلخص هذه الرسالة في التحرر من التقاليد البالية والعادات الموروثة التي وقفت سداً منيعا دون تقدم الشرق العربي فجعلته يرسف في أغلال من الأوهام وقيود من الأحلام ، هي ثورة على القديم ، وانتصار للجديد في مختلف نواحي الحياة . . . والثورة تتطلب الهدم . . والزهاوي كان ثائراً هداما

ثورة الزهاوي في الجحيم : —

يتخيل شاعرنا نفسه ميتا قد احتواه القبر وإذا بمنكر ونكير يوقظانه من رقاده الأبدي فيعود إليه اشعوره ويشاهد أمامه نسرين هائلين تتطاير النارُ من عيونهما وتبدو ملامح الشرةِ على وجهيهما ، لكل منهما أنف غليظ وفم واسع وبأيديهما أفاع غلاظ تلوى وتدور

فيخورُ عزمه وتهنُ قواه ثم ما يلبث أن يستعيدَ جرأته ، ويتمالك جأشه ويجيبَ على الأسئلة التي كان يوجهها إليه الملكان ، فيعترفُ بأنه لم يأتِ في حياته أمراً خطيرا فقد مارس الشعرَ دفاعا عن الحق وهو يفتخر بأنه كان يخالف جمهرة الناس في الرأي والمعتقد فيثيرُ عليه نقمتهم فيُمعِنون في ازدرائه واضطهاده حتى إنهم ليَهمُّون مرة بقتله . مع أنه كان يعتقدُ بالوحي ، ويؤمن بالأنبياء والمرسلين ويقوم بما يعرضه الاسلامُ على المؤمنين من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد

ثم يسأله أحدُ الملكين عن الحشر والميزان والحساب والصراط والجنان والجحيم ، فيجيبه الزهاوي بأنه كان في شبابه مؤمنا كل الايمان فاذا بالشكوك تهبُ تلاحيه فيتعمق في العقائد

إلا نفسه لا تزال مضطربة حائرة ، فهو تارة مؤمن ، وهو تارة ملحد ، وهو يخشى الجحيم ولجج النار ، ويرجو من الله أن يرفق بعباده فانهم ضعاف لاحول لهم ولا صبر على العذاب .

وهو يبدي ارتيابه في كل ما عجز العقل عن تأويله إلا أنه لا يشك مطلقا بوجود الله فهو في الجبال والوديان ، في البر والبحر ، وهو واجب الوجود وواهب الوجود قد استوى على عرشه في السماء إن أراد شيئا قال له كن فيكون

فيتهمه المَلَكان بالالحاد ويُمضيانه بالمقامع ضرباً وهو يستعطفهما فلا يعطفان عليه ، وهو يسترحمهما فلا يرحمان دمعه الغزير وجسده الدامي بل يصبان فوق رأسه قطراناً فائراً شوى رأسه ووجهه ويطيلان عذابه حتى يغيب وعيه فاذا ما عاد إليه صوابه الفى نفسه موثق اليدين بحبال مفتولة لا يستطيع حراكا فيحمله الملكان ويطيران به في الفضاء إلى الجنة حتى يزداد عذاب ضميره من حرمانه إياها ، ويبيح لهما رضوان دخول الجنة ، وهنا تتجلى روعة الزهاوي الشعرية في الوصف الدقيق الجذاب فيحلق في سماء الفن ما شاء له التحليق ، ويسمو في عالم الخيال الرفيع سمواً ليس بعده من سمو : —

كلُّ ما يرغبونَ فيه مُباح — كلُّ ما يشتهونه ميسورُ
وعلى تلكم الأسرة حور — في حُلي لهـا ونعمَ الحورُ
ليس يخشين في المجانة عارا — وإن اهتز تحتهن السرير
وكأن الولدان حين يطوفو — ن على القوم لؤلؤ منثور
إئت ما شئته ولا تخش بأسا — لا حرام فيها ولا محظور
فاذا ما اشتهيت طيراً هوى من — غصنه مشوياً وجـاء يزور
وإذا مارمت أن يحول لك التين — دَجَاجاً أتى إليك يطير
ليس فيها موت ولا موبقات — ليس فيها شمس ولا زمهرير
لا شتاء ولا خريف وصيف — أترى أن الأرض ليست تدور
ولقد رمتُ شربةً من نمير — فتيممته ففرَّ النمـيرُ
وكأن الماء الذي شئت أن أشـربه — بابتعاده مأمور

ويتذكر بأنه مطرود ملعون ، لا يحق له أن يتمتع بما وُعِد به المؤمنون المتقون ، فيرجو من الملكين أن يعودا به من حيث أتيا لأن ما يشاهده من النعيم يثيرُ أشجانَه ويَهيجُ أحزانه فيُخرجانِه من الجنة ويشدان وثاقه ويقذفان به في جوف الجحيم

وكأنَّ الجحيم حفرة بركا — ن عظـيم له فم مفغور
تدلعُ النارُ منه حمراءُ تلقي — حِمما راح كالشواظ يطـيرُ
وأشدُّ العذاب ما كان في الها — وية السفلى حيث يطغى السعيرُ
الطعامُ الزقومُ في كل يوم — والشراب اليحمومُ واليحمورُ
ولهم فيها كلَّ يوم عذابٌ — ولهم فيها كل يوم ثُبورُ
ثم فيها عقاربٌ وأفاعٍ — ثم فيها ضراغمٌ ونمورُ
وقدت نارُها تئزُ فتغلي — أنفس فوق جمرها وتخورُ
ولقد كانت الوجوهُ من الصا — لين سودا كأنهن القيرُ
ولقد كانت الملامحُ تخفى — ولقد كانت العيونُ تغورُ
لستُ أنسى نيرانها مائجاتٍ — تتلظى كأنهُن بحورُ
ولقد صاح الخاطئون يريدو — ن نصيرا لهم وعز النصيرُ
وتساوى أشرافهم والاداني — وتساوى غنيهم والفقيرُ

ثم يعدد لنا الزهاوي العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة الذين رآهم في الجحيم ، فيذكر لنا الفرزدق وجريرَ والأخطلَ والمتنبيَ والمعريَ وبشاراً وأبا نواس والخيامَ ودنتي وشكسبيرَ وامرأ القيس .

أما بشار فكان حانقاً ثائراً مهتاجا وأما أبو نواس فكان كئيباً حزيناً ، على أن الخيام لم يشغلهُ عذاب الجحيم عن التغني بالخمرة بصوت شجي يطرب له أهل الجحيم

حبـذا خمرة تعين على النيـران — حتى اذا ذكتْ لا تضيرُ
اسقني خمرة لعلي بها أر — جع شيئاً مما سبتني السعير
أنت لو كنت في الجحيم بجنبي — لم ترعني نار ولا زمهرير

وكان سقراط أثبت القوم جأشاً يلقي خطبه على أصحابه واخدانه وعلى مقربة منه أفلاطون وارسطو وكوبرنيك الذي أثبت بان الأرض تدور حول الشمس ، ودروين صاحب نظرية النشوء والارتقاء ، وهيكل وبخنر وسبنسر ورنان وروسو وفولتير وزرادشت ومزدك والكندي وابن سينا وابن رشد والحلاج وغيرهم كثيرون

لم أشاهد بعد التلفت فيها — جاهلا ليس عنده تفكير
انما مثوى الجاهلين جنان — شاهقات القصور فيها الحور

وكأن أهل الجحيم قد شعروا أخيرا بما يحيق بهم من العَسفِ والحيف فعقدوا النية على الثورة لتقويض دعائم الاستبداد ، فاخترعوا الآلات المدمرة والأدوات الهدامة واخترق صفوف الملايين أحد الشباب ووقف فيهم خطيباً يبين لهم بصوت جهوري

زعزع عاصف ما يقاسونه من الآلام ، ويدعوهم إلى مقاومة القوة الغاشمة بالقوة الغاشمة دفاعاً عن حقوقهم المهضومة وذودا عن كرامتهم المثلومة . فهاج أهل الجحيم وماجوا وعلا منهم الضجيج ، فاطفأوا جمرة الجحيم وزحفوا ثائرين هائجين ونشبت حرب ضروس بينهم وبين زبانية النار عاضد فيها الشياطين أهل الجحيم وانجدت الملائكة زبانية جهنم ورموا بالصواعق والرياح والأعصار ، والبروق والرعد . والبحار والجبال والبراكين . وكانت الحرب بادىء ذى بدء سجالا . الا انها اسفرت فى النهاية عن انتصار أهل الجحيم ، فطاروا على ظهور الشياطين يطلبون الجنان ، فاحتلوها وطردوا منها البله المساكين

ومن الانصاف للعلم والحقيقة قبل الانصاف للزهاوى أن نقرر هنا بأن الزهاوى لم يقصد من ثورته فى الجحيم الشكَّ بوجود الله عز وجل كما ظن السوادُ الأعظم من بنى قومه وإنما كان مسلماً قوى الايمان إلى أقصى حدود الايمان والأمثلة على صحة ما نذهبُ اليه وافرة نوردُ منها ما يتسع له النطاق الذى حددناه لهذه الكلمة :

قال ما دينك الذى كنت فى الدنيا	عليه وأنت شيخ كبير
قلت : كان الاسلام دينى فيها	وهو دين بالاحترام جدير
قال من ذا الذى عبدتَ فقلت	الله ربى وهو السميع البصير
مذهبى وحدة الوجود فلا كا	ئن غير الله القديم القدير
أنا هذا ، فلا أبالى إذا ما	اجمعت ثلة على تكفيرى
أهل عصرى لا يفقهون حديثى	حبذا لو أتيت بعد عصور
أنا ما كفرت بكل عمرى	بالكتاب المنزل
أنا لم أزل اشدو بنعت	للنبى المرسل
يسائلنى عن مذهبى وعقيدتى	فريق من الأشياخ ما أنا منهم
فقلت لهم أما السؤال فبارد	وأما جوابى فهو أنى مسلم
ولكننى ما كنت يوماً مقلداً	يرى أن حكم العقل فى الدين مأثم
فما القلب منى بالسخافات مولع	ولا الرأس منى بالخرافات مفعم
لا درَّ درّ الجاهلين فانهم	يرمون بالالحاد من لا يلحد
إن كان من يبدى الحقيقة ملحداً	فليشهد الثقلان أنىَ ملحد
أحمد البارى الذى يتساوى	عنده إيمانى به وجحودى
كلنا مؤمن يسبح للرحمن	فى ظل عرشه الممدود
إننى ما سجدت يوما لغير الله	فالله وحده معبودى

(البقية فى العدد القادم)

أحمد المغربى

٥ ـ دعابة الجاحظ

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

... والآن فلننظر إلى الجاحظ فى ضحكه ، ولقد كان الجاحظ ضحوكا طلقا تستخفه النادرة فيقهقه ملء شدقيه ، ويقصد إلى الأضحاك فيبلغ من ذلك غايته . وإنك لتجده فى ضحكه وإضحاكه ـ كما كان فى تهكمه وسخره ـ مطبوعا موهوبا خفيف الروح ، لطيف الاشارة ، ظريف الأداء ، طريف المقصد ، فهو فى إضحاكه يسلك السبيل اللاحب إلى القلب ، ويصل إلى قرارة النفس فى ملاطفة وسهولة . وخفة وبراعة ، وإنه ليهز المشاعر بالنادرة يبتدعها ، ويشفى القلب بالملحة يرسلها ، ولقد تصرمت السنون وخلت القرون وما زالت نوادر الرجل ومضاحيكه فى بطون الكتب إذا ما وقع عليها القارىء فلا يستطيع الامساك مهما كان فى وقاره ، ومهما اعتورها بالنظر ورددها فى اللسان . وعلى أن النادرة لا يكون لها فى الاضحاك مكتوبة كمثل ما يكون لها إذا ماجرت تحت المعاينة ، فان المكتوب لا يصور لك كل شىء ، ولا يأتى لك على كنهه وعلى حدوده وحقائقه (١) ، وأما إذا ما أخذ الرجل فى الضحك فأنه ينطلق فى غير احتشام ، ويجرى فى الشوط إلى أبعد غاية . حدث عن نفسه قال : صحبنى محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلا ، فلما صرت قرب منزله وكان أقرب إلى المسجد من منزلى ، سألنى أن أبيت عنده ، وقال أين تذهب فى هذا المطر والبرد ، ومنزلى منزلك ، وأنت فى ظلمة وليس معك نار ، وعندى لبأ لم ير الناس مثله ، وتمر ناهيك به جودة ، فملت معه فأبطأ ساعة ثم جاءنى بجام لبأ وطبق تمر ، فلما مددت قال يا أبا عثمان : إنه لبأ وبه غلظة ، وهو الليل وركوده ، ثم ليلة مطر ورطوبة ، وأنت رجل قد طعنت فى السن ، ولم تزل تشكو من الفالج طَرَفا ، وما زال الغليل يسرع إليك ، وأنت فى الأصل لستَ بصاحب عشاء ، فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ ، كنت لا آكلا ولا تاركا وحرشت طباعك ، ثم قطعت الأكل

(١) البخلاء ص ٤٧ ط الساسى

أشهى ماكان إليك ، وإن بالغت بتنا فى ليلة سوء من الاهتمام بأمرك ، ولم نعد لك نبيذاً ولا عسلا ، وانما قلت هذا الكلام لئلا تقول غداً كان وكان ، والله قد وقعت بين نابى الأسد ، لأنى لو لم أجئك به وقد ذكرته لك ، قلت : بخل به وبدا له فيه ، وإن جئت به ولم أحذرك منه ولم أذكرك كل ما عليك فيه قلت لم يشفق على ولم ينصح ، فقد برئت اليك من الأمرين جميعاً ، وإن شئت فأكلة وموتة ! وإن شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة !! فما ضحكت قط كضحكى تلك الليلة ، ولقد أكلته جميعاً فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن ، ولو كان معى من يفهم طيب ما تكلم به لأتى على الضحك أو لقضى على ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب [1]

فانظر يارعاك الله إلى أى حد كان يغرق الجاحظ فى الضحك والمرح ، وإلى أى حد كانت النادرة تستخف وقاره ، وتهيج نشاطه ، وتجلب له كل هذا من البشر والسرور . وماذا تقول فى رجل لو وجد من يساجله الضحك ويجاذبه السرور لما أمن على نفسه الموت سروراً وضحكا ؟! على أن ما قاله صاحبه لمن يكن ليحمل على كل هذا ولا يدعو إليه ، فياليت شعرى أكان الجاحظ يعيش فى الحياة بقلب فارغ من الهموم والمشاغل ، بعيد من الأحداث والأوصاب ؟ أم كان ذلك الرجل يضحك عن فلسفة ورأى ، فهو يعتقد أن هذه الحياة الفاجرة أحقر وأهون من أن يسفح الدمع فى الحرص عليها ، وأن يسجن القلب فى سبيل الودادة إليها ، وأن يتكلف لها ما يتكلفه بعض الناس من التزمت والوقار ، وكزازة النفس ، وضيق العطن ، أولئك الذين ابتعدوا من المرح لأنهم زعموه ينافى المروءة ، وحرموا أنفسهم نعمة الضحك لأنهم استقبحوه بالوقار !! قال الجاحظ ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك وقبيحا من المضحك ، لما قيل للزهرة والحبرة والحلى والقصر المبنى كأنه يضحك ضحكا وقد قال الله جل ذكره : وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، فوضع الضحك بحذاء الحياة ، ووضع البكاء بحذاء الموت ، والله تعالى لا يضيف إلى نفسه القبيح ، ولا يمن على خلقه بالنقص ، وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شىء فى أصل الطباع وفى أساس التركيب ، لأن الضحك أول خير يظهر من الصبى وقد تطيب نفسه ، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذى هو علة سروره ومادة قوته . ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى أولادها بالضحاك وببسام ، وبطاق وبطليق . وقد ضحك النبى صلى الله عليه وسلم وفرح ، وضحك الصالحون وفرحوا ؛ وإذا مدحوا قالوا هو ضحوك السن ، بسام العشيات وذو أريحية واهتزاز ؛ وإذا ذموا قالوا هو عبوس وهو كالح ، وهو قطوب ، وهو شتيم المحيا . وهو مُكفهر أبداً وهو كريه وبغيض الوجه ، وكأنما وجهه بالخل منضوح [1] .

فالجاحظ إنما كان يقصد إلى الضحك والأضحاك : لأنه ذلك فى رأيه ، يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شىء فى أصل الطباع وفى أساس التركيب ، وهو أول خير يظهر من الصبى ، وإذن فليأخذ الجاحظ فى الضحك والاضحاك ما استطاع حتى يغتنم هذا الخير فيسر نفسه ويصلح طباعه ، وما أحوجه إلى ذلك . ومن ذا الذى لا يضحك على هذا الشرط ، ويسبق إلى الأضحاك إذا ما صح عنده هذا الاعتقاد الذى كان يعتقده الجاحظ ؟ وكان الله قد أراد أن يسعد الرجل فى هذه الغمرة ، وأن يعده لأداء هذه المهمة ، فبرأه مرح النفس أو على حد تعبيره ـ ذو أريحية واهتزاز كما برأه فى منظر جهم ، وشكل هو المثل السائر فى القبح والدمامة ، فكان الرجل لا يتورع ولا يتحرج من أن يجعل من ذلك مصدر ضحك وإضحاك ، فيتفكه بقبحه ودمامته ، ويتندر بما فيه من شذوذ الوضع وجهامة الشكل ، بل لقد كان يحلو له ذلك ويتعمده ويسوقه إلى الناس وهو قرير العين . طيب الخاطر ، حتى لتحسبه فى تلك الناحية ممثلا هزلياً وقف على الخشبة ليضحك الجمهور ،

(١) النجلاء ص ١٠٣ وما بعدها

(١) النجلاء ص ٥

ويدلهم على مواضع الدمامة فى شكله ، والنقص فى خلقته وماذا ترى فى رجل يحدث عن نفسه بهذه الصراحة فيقول : ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده . فلما رآنى استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى !!

وقال فيما قال عن نفسه : ما غلبنى أحد قط إلا رجل وامرأة فأما الرجل فأنى كنت مجتازاً فى بعض الطريق ، فاذا برجل قصير بطين كبير الهامة طويل اللحية مؤتزر بمئزر وبيده مشط يمشطها ، فقلت فى نفسى : رجل قصير بطين ألحى ! فاستزريته فقلت : أيها الشيخ : لقد قلت فيك شعراً !! فترك المشط من يده وقال : قل فقلت :

كأنك صعوة فى أصل حش أصاب الحش طش بعدرش (١)

فقال اسمع جواب ما قلت ، فقلت هات ! فقال :

كأنك جندب فى ذيل كبش تدلدل هكذا والكبش يمشى (٢)

وأما المرأة فأنى كنت مجتازاً فى بعض الطريق، فاذا أنا بامرأتين رأيت إحداهما فى العسكر وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت لها : انزلى كلي معنا ! فقالت : إصعد أنت حتى ترى الدنيا !! فهو يعرض بطولها وهى تعرض بقصره

وأما الأخرى فأنها أتتنى وأنا على باب دارى فقالت : لى إليك حاجة وأريد أن تمشى معى ! فقمت معها الى أن أتت بى الى صائغ يهودى وقالت له : مثل هذا !! ثم تركتنى وانصرفت ، فسألت الصائغ عن قولها فقال : انها أتت الىّ بفص وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة شيطان ! فقلت لها ما رأيت الشيطان حتى يمكن أن أصوره ، فأتت بك وقالت ما سمعت !!

وقد لا يخجل من أن يتندر على نفسه بالبلاهة وبالغفلة ، ومن ذلك ما ذكره عن نفسه إذ قال : جلست إلى المرآة وقد أمسكت بالمقراض أريد أن أقرض من لحيتى ما زاد على القبضة من تحت ولكنى نسيت فقرضت ما فوق القبضة ، وتلك من اختراعات الجاحظ وتلفيقاته . وللرجل من أمثال هذه كثير ، وكلها من هذا الطراز الذي يطل منه الجاحظ صريحاً فى الضحك على نفسه ، جريئاً فى الاضحاك بما يمسه فى سمته ، فلا يخجله أن يتحدث عن بشاعة منظره الذى أفزع المتوكل فصرفه عن تأديب أولاده ، وجعل المرأة تقدمه إلى الصائغ على أنه شيطان ، والأخرى تعرض بقصره ، والثالثة تخجله بالنادرة ، والشيخ يمثله بالجندب فى ذيل الكبش . . . فأما إذا ما أخذ الرجل فى الضحك على غيره من الاخوان والأصدقاء ، والحمق والنوكى والموسومين والمدخولين ، وأهل العىّ والحصر والنجلاء ، والأطلة ، والمكدين وأصحاب التطفيل ، فانه يكون أصرح وأجرأ ، وأحلى ، وأملح ، وقد عنى الرجل بأخبارهم واهتمّ بالحديث عنهم ، وما أعرف له كتابا يخلو من ذكرهم ، وإذا كان من الاطالة أن نسرد ما للرجل فى كل ذلك فلا بأس من أن نسرد بعض ما له في مقال آت

(له تابع) **محمد فهمى عبد اللطيف**

(١) الصعوة عصفورة صغيرة كثيرة الصفير والحش بيت الخلاء والطش كثير المطر والرش قليله (٢) الجندب الجرادة

الى شباب العرب

للشاعر القروى

ثبْ يا شباب العرْب ثب   مشث الشعوب وأنت نائم
ثبْ فالعلى نار تأجج   فى العروق وفى العزائم
وردِ المجرّة بالضر   اغم تحت أجنحة القشاعم
وأَردد مجاهل هــذه الـ   أكوان واضحة المعــالم

***

حطمت قيدك فانطلق   فى حلبــة العمل العظيم
واستغن بالعز الطر   يف عن التغنى بالقديم
إن لم تجلّ عن الرميم   بنهضة تحيى الرميم
ما أنتَ بالخلف الكريم   لذلك السلف الكريم

***

اليوم تجنى ما سقيــت بذوره العلق الثمينا
فاحرص على ما قد وجد   ت بمن فقدت بميسلونا
حاشاك بعد بزوغ مجــدك إن تخون وان تهونا
ما نلت الاستقلال إلا بعد أن ذقتَ المنونا

***

الناس حولك للوثو   ب إذا غفت عين انتباهك
يتراقصون على أنينك   شاربين كؤوس آهك
لم تغنك الصلوات ان   سطت الذئاب على شياهك
الحرب من سنن الحيا   ةِ أأنت أحكم من إلهك

***

ليس الفتى العربى بالذ   ئب الخطوف ولا الخروف
لكنه البطلُ الشريــف القادر البطلَ الشريف
نحن الاولى نخروا الأنا   م بكل جبّار لطيف
لا يستبد بغير طا   غٍ مستبدّ بالضعيف

***

ما زلت فى بدء الجها   د فلا تقل بطلَ الجهاد
اليوم يومك للسبا   ق اليوم يومك ياجواد

فانهد إلى حوماته لا بالمهندة الحداد
بل بالتساهل والمحبّــة والوئام والاتحاد

***

عش للعروبة هاتفاً بحياتها ودوامهــا
وامدد يمين الحب با   لبنانهــا لشآمها
أنظر إلى آثارها تنبئك عن أيامها
هذا التراث يمتُّ معــظمه إلى إسلامها

***

مالى أراك برئت من دمها ومن أوطانها
أنسيت أنك ليث نهــضتها ونسر بيانها
أتقول لست من الشآ   م وأنت فى أحضانها
أتهد ناطحة النجو   مِ وأنت من أركانها

***

إن فاتك الرأى السديــد فخذ برأى ذوى العقول
ودعِ الغبىّ يقول ما   شاء التعصب أن يقول
الحق بشاعرك الأبى وفيلسوفك يا جهول
من سار خلف «الديك» يعــلم أين آخرة الوصول

***

هلا ذكرت فتوحهم   بالمشرفيّــة والقلم
أيام هزوا للعلى   والعلم فى الغرب العلم
جمعوا الذكاء إلى الوفا   ء إلى الأباء إلى الشمم
قهروا العدى نشروا الهدى   رضعوا الندى بدءوا الكرم

***

قل لى بربك هل ربحــت من الغريب سوى المحن
وفروغ جيبك واليدين   وقتل روحك والبدن
كانت تدر الشهد أر   ضك والسلافة واللبن
فغدا الوقوف على ربو   عك كالوقوف على الدمن

***

سيجرّ عزرائيل فو   ق ربوعهم ذيل العفاء
ويطير الشيطان ما اخــترعوا بما اخترعوا هباء
ويطهر الأجواء من عقبانهم نسر القضاء
من كان يأباه الجحــيم فكيف ترضاه السماء

***

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

— ٣ —

زهرة التذكار

وسقطت زهرة من طرتها ، فانحنى ليرفعها عن الأرض .

استوقفته بنغمة من صوتها الشجي قائلة : — دعها ، دع الزهرة التى صدمها الهواء ، وخذ هذه ، بدلا عنها .

أخرجتنى من بين نهديها وأهدتنى لحبيبها .

* * *

سمعته ينشد وهو يضمنى إلى صدره : أيتها الزهرة المحبوبة

شيد على أنقاضها مدنيّة الخلق المتين
فلأنت بالتمدين دو ن الناس أجمعهم قمين
مثل المهند أن يهز فان يهزّ بك الحنين
فالغصن ، فالنسمات ، فالورقاء ، فالماء المعين

* * *

واهاً على عهد السذاجة والحماقات العِذابِ
ما ضرّ لو غادرتهن وطرت ، وحدك ياشبابى
خير الصحاب تركتنى وتركت لى شر الصحاب
بعد الأمانى العذا ب أمر ألوان العذاب

* * *

عش للتفاؤل يا شبا ب وللبشاشة والخلابه
عش للخيال وللجما ل وللغرام وللصبابه
عش للطموح وللجها د وللمناعة وللصلابه
قيل المهابة للشيو خ وأنت أجدر بالمهابة

* * *

سر فى فتوح الخالدين وطرْ الى أقصى مطارك
الكهرباء على يميـــنك والبخار على يسارك
طرْ لابساً إكليل غا رك رافعاً علم انتصارك
رحب الفضاء فناء دا رك والعوالم باب دارك

الشاعر القروى

من العصبة الاندلسية

ابق معى إلى الأبد ، أنت زهرة التذكار .

وذهب بى إلى غرفته المنفردة ، حيث بللت فى بكأس البلور ؛ كان ينظر إلى ، فيراها . ويهمس فى وريقاتى قائلا : — يازهرة محبوبتى ، ما أقوى عبيرك وما أشد فعله فى قلبى !

لقد لمستك بيدها وتركت أنفاسها تهب على وريقاتك ، لو فقدتك بين آلاف الأزهار لما ضل عنك تذكارى .

* * *

شربت كثيراً من الكأس البلورية فلم أرتو ، ذبلت ككل شيء ينفصل عن أصله ، علا الاصفرار تويجى فانحنيت على نفسى ، رأيته يتقدم إلى والدمعة في عينيه ، يحدجني بنظراته الرائعة ، ثم قال : — ما أوجع احتضارك على مشهد منى يازهرة التذكار ! سيسطو عليك ملك الموت ولكنه لن يدنو من روحك الخالدة روح التذكار الدائم . تعالى لأدفنك فى القبر المقدس حيث دفنت آمالى فيضمك وحياتى كفن واحد .

أخذنى إلى خزانته وألقانى بهدوء بين أكفان الطروس ، بين رسائل من يهوى .

* * *

وكان مقرى بين النار الكامنة فى الكلمات ، والكلمات صامتة فى الحروف السوداء .

لقد زارنى مراراً فى قبرى ، فكنت عاكساً أميناً لخياله ، تنطبع نضارة تذكاره على اصفرار وريقاتى ، ويهب عبير غرامه من جفاف عروقى ، فيرانى صبية رائعة الشباب تنفخ الفتوة فى كهولة قلبه .

* * *

وما عدت أراه إلا من حين إلى حين .

ومنذ أيام أخذ كفنى دون أن يلق على كلماته نظرة واحدة ودفع به الى اللهيب ، ثم لحت لعينيه جافة صفراء فحدجنى ملياً كأنه يفتش على ذكر لايهتدى اليه .

أمسكنى بأطراف أنامله وتقدم ببطء إلى النافذة .

شعرت بمصادمة الهواء لوريقاتى النحيلة فارتجفت .

أنكر جميلى وأى إنسان ليس جاحداً ؟

أنا الزهرة المأخوذة من بين نهديكن ، أنا زهرة التذكار ؛

لفح الهواء وريقاتى الجافة فتبددت فى الفضاء .

(ف . ف)

أقصوصة

الخــداع

مترجمة عن الفرنسية

بقلم الاستاذ فليكس فارس

بين الوهاد والجبال أمام روعة الطبيعة لم تدنسها يد الانسان كانت العساكر الفرنسية والانكليزية تتحين الفرصة للهجوم ، وكل منها يتوقع الفوز بوفرة عَدده وضخامة عُدده . وكان قائد الحملة الفرنسوية شيخاً بلته الأيام فما زادته إلا صلابة وعزماً ، وقد ملىء تذكاره بالوقائع الكبرى وعقد له النصر ألوية وسجل له التاريخ صفحات المجد خالدة .

حمى وطيس الحرب فتوالت الهجمات وتفجرت الدماء على تلك الأرض الجرداء مثمرة الترمل والثكل واليتم . ومالبث أن أحاط الانكليز بأعدائهم إحاطة السوار بالمعصم فكادت تدور على هؤلاء الدائرة لولم يتدارك القائد الشيخ خطورة الموقف بعزمه وإقدامه

وكان هذا القائد ممتطياً صهوة جواده يفكر فى إيجاد وسيلة تمكنه من اختراق صفوف الأعداء . فشاهد أحد أتباعه يتقدم إليه بخطوات ثابتة . وعندما وصل القادم إلى مقربة منه عرف أنه هنرى الذى تبناه بعد أن سقط والده قتيلا فى موقعة كان هو قائدها أيام الصبا . وحاط القائد هذا الطفل بكل رعايته حتى بلغ أشده فاتخذه معيناً له ، وكان يستصحبه فى جميع معاركه وكان هذا الفتى الجميل قد عاد مرات من الحروب مثخناً بالجراح فضمدتها يد قرينة القائد الشيخ وهى فتاة فى ريعان الصبا كانت تزوجته بالرغم من تقدمه فى السن وبالرغم من أقوال الناس وتكهناتهم

وحدق القائد بفتاه معجباً بجمال طلعته وبسالته وقال له : — لاخلاص لنا من هذا المازق إذا نحن لم نخترق دائرة الأعداء المحيطة بنا ، فعليك أن تقوم بهذا العمل ، اختر من تشاء من الشجعان وسر فى مقدمتهم . فالواجب يدعوك إلى التضحية من أجل الوطن والمليك

وانتضى الفتى سيفه ونادى : ليحيى الملك

فرددت نداءه فرقة من الجند لمعت سيوفهم فى الفضاء وتقدموا منضمين الى قائدهم الجديد منتظرين اشارة الهجوم

وارتمى هنرى بين يدى مربيه يضمه الى صدره قبل أن يقتحم المخاطرة الكبرى ، فتمازج دمعا الفتى والشيخ وكل منهما موقن بأن لا لقاء بعد هذا الوداع

وفى تلك اللحظة شق الصفوف فارس آت من باريس ، ترجل عن فرسه وقد علاه الغبار وأضناه التعب وتقدم الى القائد الشيخ مقدما له رزمة رسائل مختومة بالشمع الأحمر حاملة عنوان هنرى باحرف منمقة ، ولم يكد يفض القائد الختم ووقعت أبصاره على السطور حتى جمد الدم فى عروقه وارتسمت على وجهه أمارات حزن عميق وحدق فى ربيبه مليا وقد جفت دموعه فجأة بين جفنيه

وكانت الرسائل من عقيلة القائد الشيخ موجهة الى هنرى . فى كل كلمة منها شرارة شوق وفى كل سطر شعلة غرام وجنون

وأدار الشيخ وجهه عن ربيبه وسرح أبصاره على ميدان المعركة كأنه يفتش عن هاوية تنفتح فيه فيذهب اليها بقية حنان كانت تختلج فى قلبه لربيبه وبشبح غرام نورت أزهاره على غصن هرم ففاحت منها رائحة القبور

مزق الرسائل الواحدة تلو الأخرى على مهل وهو مصغ من أعماق روحه الى هتفة ماكان يعلم أمها أم من روح الوجود مصدرها : — ويل للعقوق ، ويل للخائنة

وانتبه الشيخ كمن يستفيق من حلم وقال لهنرى : — ابق هنا وقم مقامى ، فلسوف أقود مخترق الصفوف بنفسي

فصاح الفتى : — ولم تريد حرمانى هذا الشرف ، ياأبى ؟

فادار القائد رأسه ليخفى ما ارتسم عليه من الحنق والألم وقال بهدوء : — ذلك أمر تلقيته الآن

واختنق صوته ، فاندفع نحو الخطوط وتبعته فرقة المستبسلين وعلا دخان البارود وملأ الفضاء أزيز الرصاص ، فلم يسمع أحد ما هتف به القائد الشيخ وهو يرتمى قتيلا عن صهوة جواده .

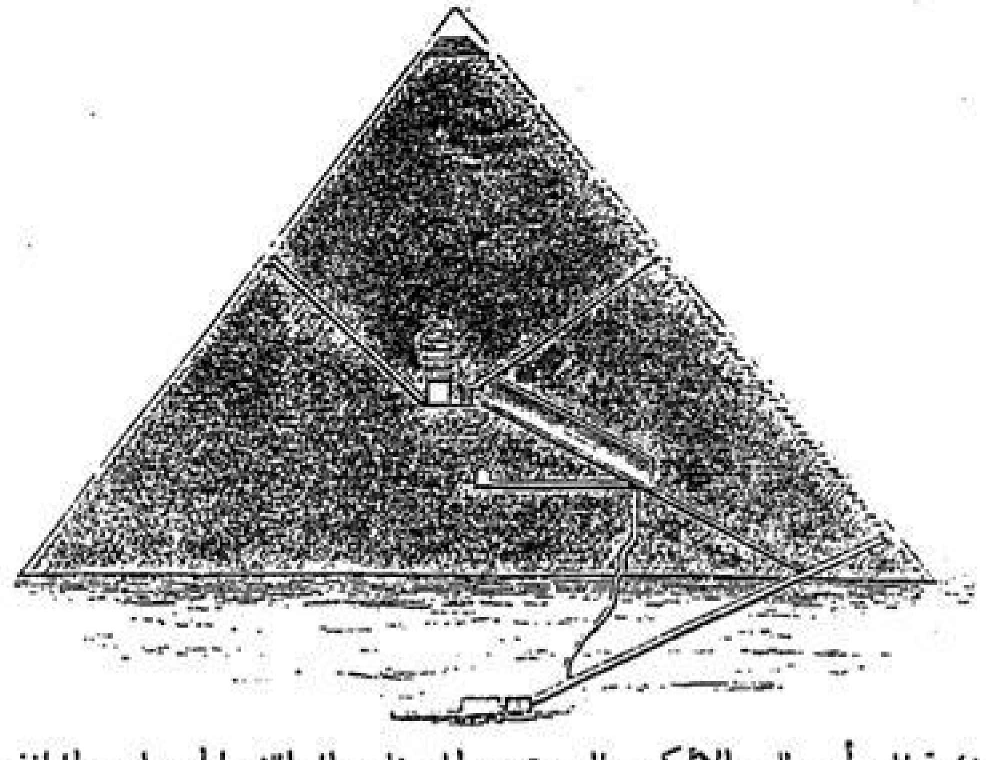
الفنون

الفن المصرى

١ – العمارة

للدكتور احمد موسى

دفع الدين والاخلاص له إلى الفن الذى بدأ به المصريون مبكرين . نظروا إلى السماء فقدسوها وإلى الشمس فعبدوها ، وإلى النيل فعرفوا أنه مصدر حياتهم فجعلوا منه إلها للخير ، ورأينا فيما سبق كيف كانت عبادة المصريين لمعبوداتهم ، وكيف دفع بهم الدين إلى حضارة هى مثار الاعجاب للدارس الباحث على مر القرون



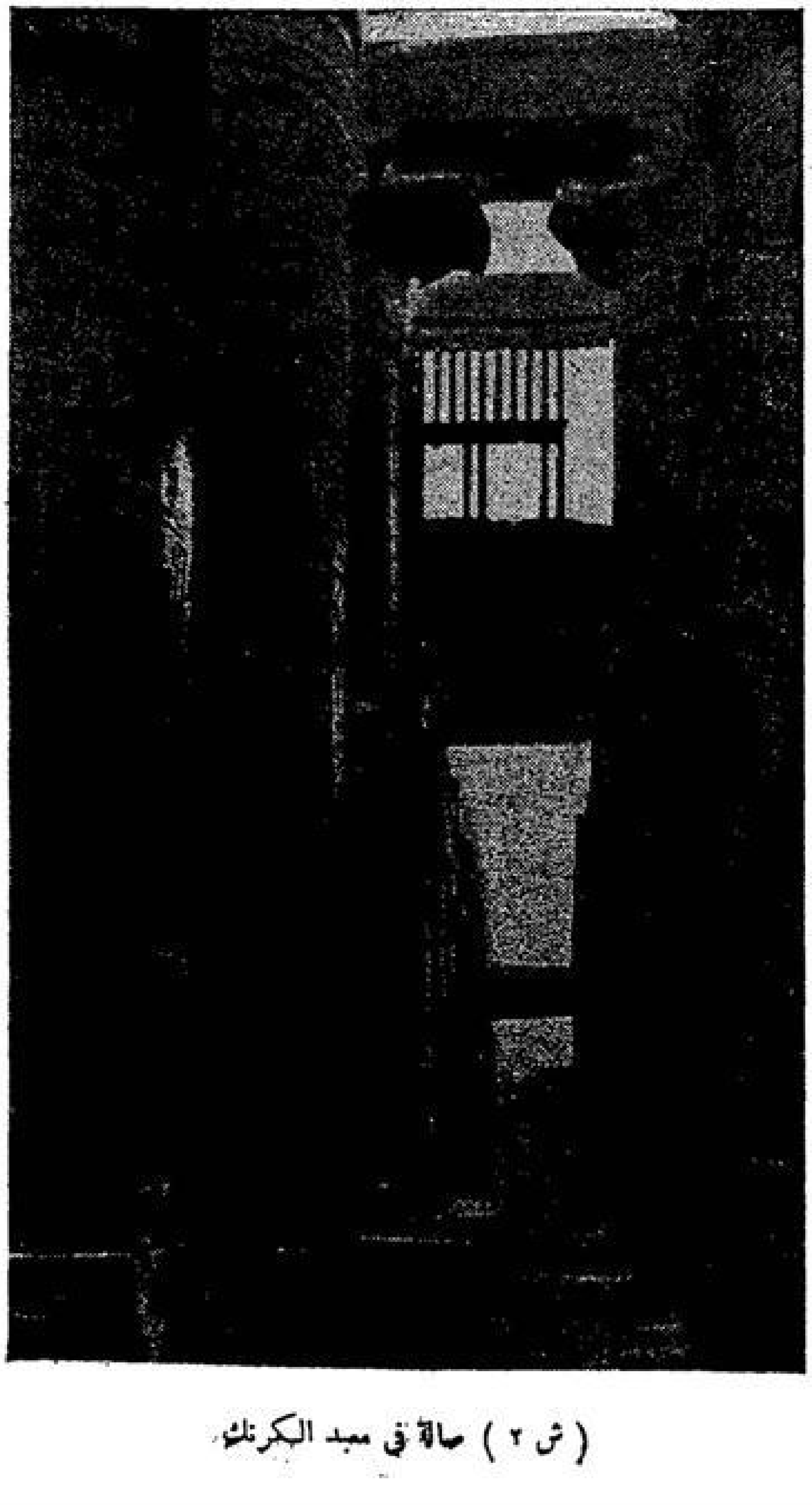
(ش ١) قطاع رأسى للهرم الأكبر بالجيزة يبين المدخل والمسالك والحجرات والمنافذ

وإذا كانت قواعد تاريخ الفن تشير بتقسيم التراث الجيد إلى أقسام معينة ؛ فذلك لكى نحسن الفهم فيتم التقدير الذى يؤدى بنا إلى الاستمتاع بجمال الوجود ، فضلا عما نستطيع وضعه من أصول نتمكن بها من ربط نهضتنا الحالية بالحضارة القديمة ، فى انسجام وبغير خروج على الذوق العام .

بنى المصريون المقابر والأهرامات لثقتهم بعودة الحياة إلى الجسد بعد الموت ، وبعد حساب عسير، ولن تتمتع بقسط من النعيم إلا بقدر ما قدمت من عبادة وتقديس للآلهة ، فدفعهم هذا إلى تشييد المعابد التى لم يكن مستطاعا لهم فى غيرها القيام بالواجب الأسمى

فكان بناء المقابر والمعابد أول أقسام الفن ، وأجدرها بالدرس لمن يريد معرفة الفن المصرى من بناء ونحت وتصوير ، والوقوف على ما فيها جميعا من جمال أدى إليه الشعور بالوجدان وسمو المشاعر ونبل العاطفة

استغرق تاريخ مصر عدة آلاف من السنين ، وشمل أسرات بلغت الإحدى وثلاثين ، ولذلك ينبغى تقسيم عصر البناء (والفن من نحت وتصوير) إلى أقسام أولها عصر المملكة القديمة ، حيث تم تشييد الأهرامات بالجيزة وغيرها . ثم عصر المملكة الوسطى وبعدها المملكة الحديثة



(ش ٢) صالة فى معبد الكرنك

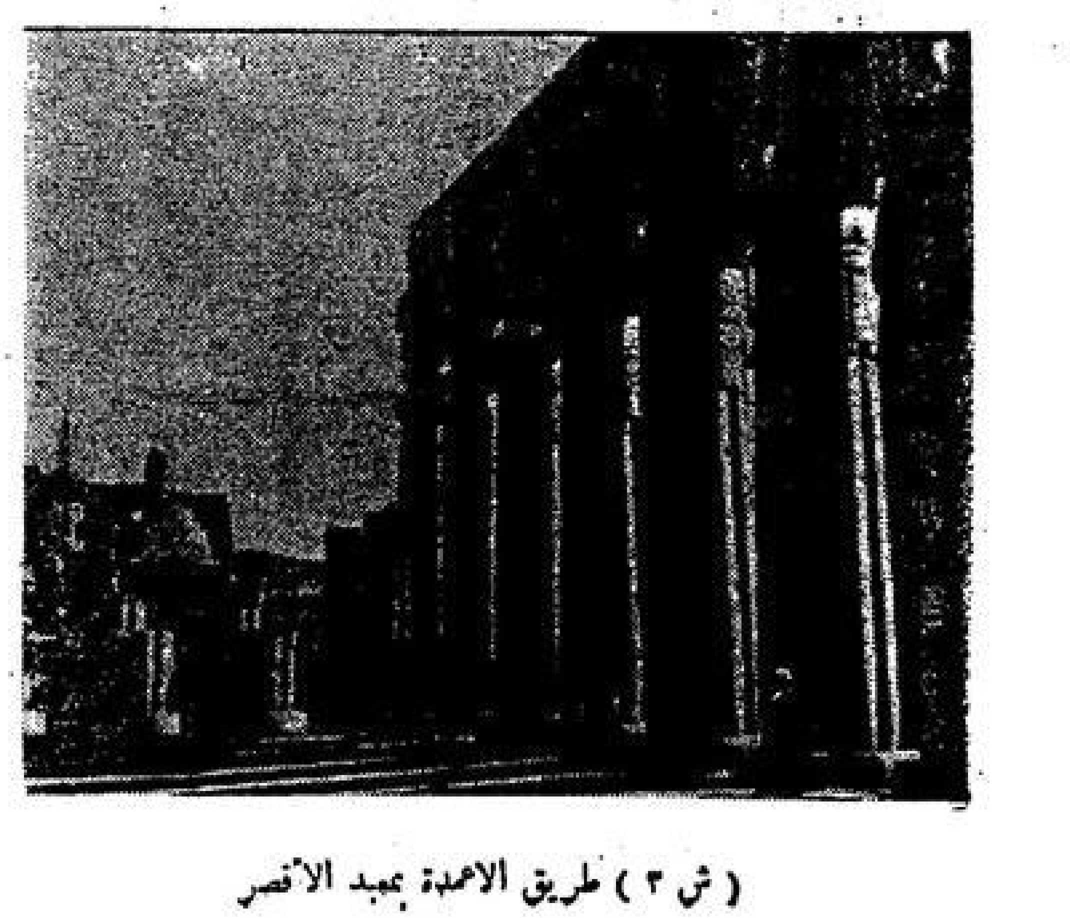
ويرى الدارس للأهرام سر العظمة البنائية متجليا فيها ، كما يلاحظ الأبهة في إخراجها والدقة المتناهية في تكوينها العام ، بجانب ما يستطيع الوصول إليه بالفحص والتحليل من معرفة بعض ما بلغه المصريون في علمي الهندسة والرياضيات ، ولا غرابة إذا اعتبر العلماء المعاصرون ، الاهرام أعظم نموذج عملي لعلم الهندسة المعمارية إطلاقا

ولم تدم مرحلة بناء الاهرام طويلا ، بل إنها لم تكن إلا في عهد الأسرات الأولى فقط ، أما المعابد فانها بدأت معها ولكنها ظلت تشيد طوال عصور الحضارة المصرية القديمة

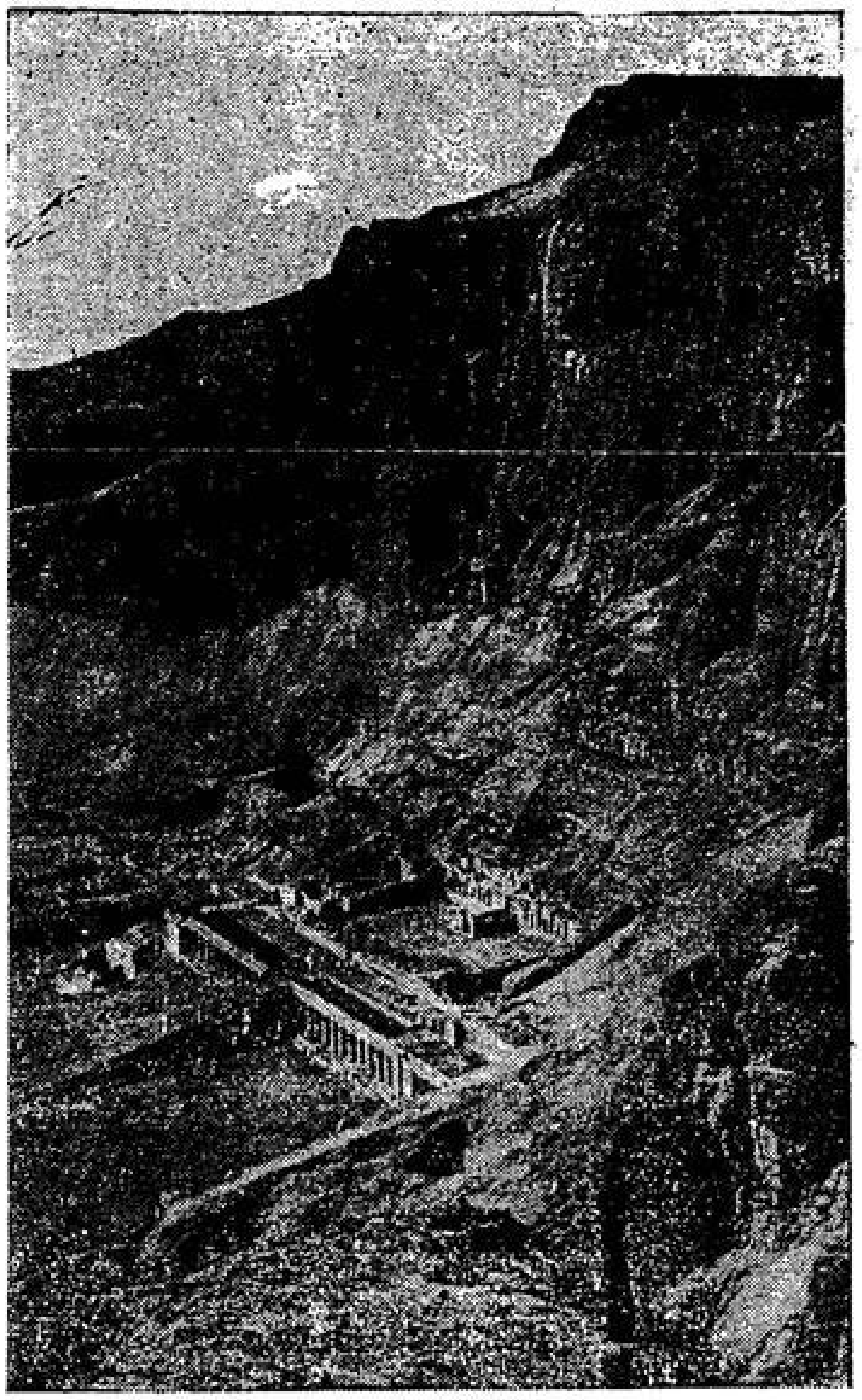
وأهم الأهرام ثلاثة ، أولها وأعظمها هرم خوفو البالغ ارتفاعه حالا ١٣٧ مترا وطول ضلع قاعدته ٢٢٧ مترا ، كله من الأحجار الضخمة التي استحضرت من محاجر طرة والمقطم ومن محاجر أسوان أيضا . وبلغ حجمه الهائل حوالي مليونين وثلث مليون من الأمتار المكعبة ، له مسالك للسير في داخله والوصول إلى حجرات الدفن ، كما أن له منافذ للهواء

أما هرما خفرع ومنقرع فهما أصغر قياسا وحجما ، كما أنهما نسبيا أقل أهمية من الهرم الأكبر . وتوجد بمصر أهرامات كثيرة في أبي رواش وأبي صير وسقارة ودهشور وميدوم وغير ذلك ، لبعضها مميزات واضحة منها التدرج (كهرم سقارة المدرج) ومنها عدم استقامة أضلاع الزوايا (كهرم ميدوم) الذي كان في الأصل مكونا من سبع طبقات بعضها فوق بعض لم يبق منها إلى الآن سوى ثلاث . كل هذه الأهرام كانت مقابر للملوك . ولعل ما تشعر به النفس من رهبة أثناء دخول الهرم الأكبر خير دليل على مبالغة الملوك في الحرص على أجسادهم بعد موتهم الذي نظروا إليه بكل اعتبار وبكل تقدير

أما المعابد فقد اختلفت عن الأهرام اختلافا ظاهرا واختلافا



(ش ٣) طريق الاعمدة بمعبد الأقصر

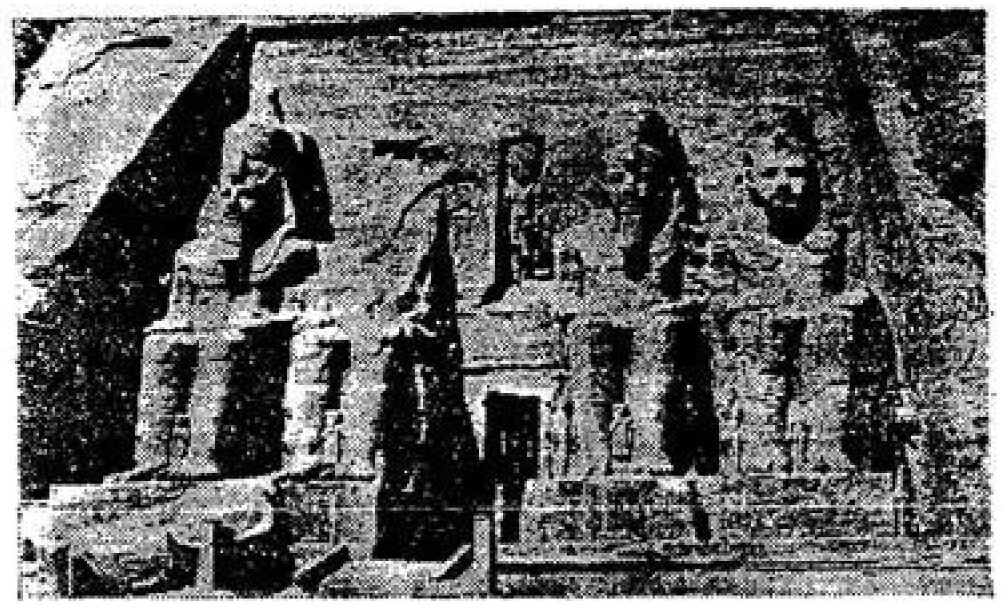


(ش ٤) معبد الدير البحري بطيبة

معنويا ، فبينما كانت الاهرام مقابر للملوك ، كانت المعابد أماكن للعبادة . فضلا عن اختلاف الوضع والتصميم

والناظر إلى المعابد المصرية إجمالا يرى أنها تنقسم من ناحية طراز أعمدتها التي هي أبرز ما يلفت نظر الزائر لها إلى قسمين : أولهما المعابد ذات الأعمدة الشاملة لقنوات سارت مع طولها ، من قاعدتها إلى نهايتها ، حيث تحمل السقف مع تجردها من التيجان . وثانيهما ذات أعمدة لها حينا قنوات وحينا آخر خالية منها ، علاوة على وجود التيجان في أعلاها . أما التيجان نفسها فكانت على هيئة زهرة اللوتس أو زهرة البردي أو على شكل نهاية النخل (العمود النخلي) أو كانت أحياناً عبارة عن مكعب على نهاية العمود الأسطواني حفرت على كل وجه من أوجهه الأربعة رؤوس نساء (ش ٦) وبمقارنة المعابد المصرية المهمة بعضها ببعض ، يمكن أن نعرف أن عصر نهضة فن بنائها انحصر في عهد المملكة الحديثة (١٥٥٥ - ٧١٢ ق . م .) وأثناء حكم البطالسة وقياصرة الرومان (٣٣٢ ق م . وما بعدها)

والدارس لتصميماتها يرى أنها شابهت إلى حد بعيد قصور الملوك والمساكن الخاصة ؛ فالمدخل العام للمعبد أنشىء بحيث يؤدي دائماً إلى فناء فسيح غير مسقوف ، وحوار ثلاثة جوانب منه وضعت أعمدة

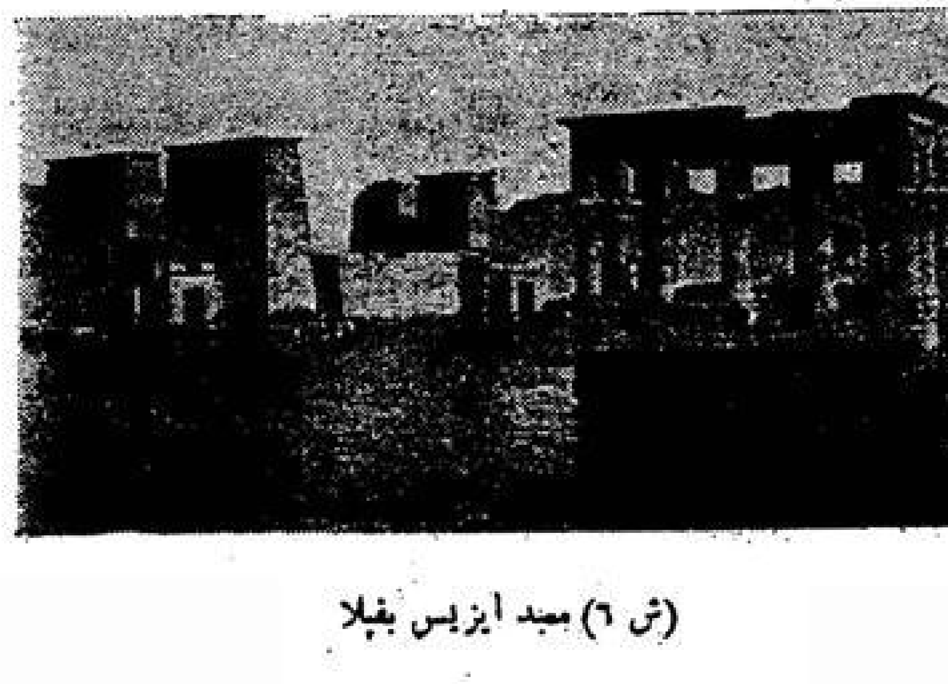


(ش ٥) معبد رمسيس الثانى أبى سنبل

تشترك مع الجوانب فى حمل السقف ، الذى كان بعرض كاف لتظليل الممر أسفله . اما الهيكل حيث اجتمع المصلون حوله لتقديم قربانهم ، فقد توسط المعبد . وكان الفناء ينتهى عادة بردهة ذات أعمدة وضعت بنظام يقسمها ثلاثة أقسام ، الأيمن والأيسر متشابهين من حيث مساحة الفراغ المحصور بين الحائط والأعمدة ، وأما الأوسط فكان عرضه مساوياً لفراغ الاثنين معاً نظراً لأنه طريق المرور . وفى النهاية ثلاث غرف ، الوسطى منها خصصت للإله المعبود ، وأما اليمنى واليسرى فكانت لزوجة الإله ولأولاده أحياناً . وكانت هناك غرفة لحفظ أدوات التقديس والأطعمة وما إليها

وأقام المصريون أمام المدخل العام لمعابدهم أعمدة شاهقة ذات أوضاع متناظرة ، وإلى جوارها مسلات وتماثيل ، ووضعوا على جانبى الطريق العمومى المؤدى إلى المدخل تماثيل لأبى الهول رابضاً أو تماثيل للكباش

وكثيراً ما أدخل الملوك المتعاقبون تحسينات أو تغييرات كثيرة على مبانى المعابد التى شيدها من قبلهم . ولعل خير مثل لهذا معبد الكرنك ، فأول من أمر ببنائه سيزوستريس الأول ، أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ، حوالى عام ١٩٥٠ ق . م ، خصيصاً لآمون إله طيبة ، وكانت مساحته عندئذ ضئيلة ، ولم يشمل سوى بعض ردهات وستة أعمدة ، كانت خالية من الزخرفة ، إلى أن جاء توتموزيس أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة فبنى غرفا عدة أمام هذا



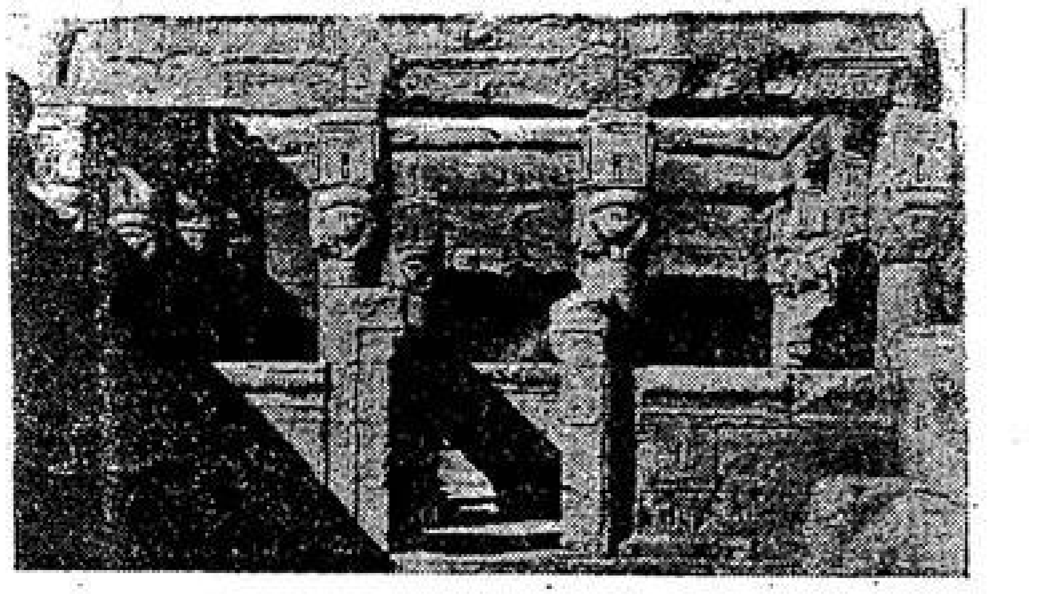
(ش ٦) معبد ايزيس بفيلا

المعبد . وحذا ملوك هذه الأسرة (١٥٤٥ - ١٣٥٠ ق . م .) حذوه فأدخلوا على معابد كثيرة شيئاً من التوسع جديراً بالذكر

ونهجت الأسرة التاسعة عشرة على منوال أدق (١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق . م .) ، فأضافت إلى معبد الكرنك الصالة الرائعة ، التى بلغت مساحتها مائة متر فى خمسين متراً ، بأعمدة ارتفاعها اثنى عشر مترا وربعاً ، علاوة على بناء غرفتين صغيرتين ، وفى عهد الأسرة الثانية والعشرين (٩٤٥ - ٧٤٥ ق . م) تم عمل السور العظيم حول هذا المعبد الفذ

وأهم وأجمل المعابد المصرية راجع إلى المملكة الحديثة (١٥٨٠ - ١٠٩٠ ق . م) تحت إشراف ملوك عظام ، لايزال التاريخ يذكرهم أمثال توتموزيس الثالث والرابع ، وأمينوفيس الثانى والثالث والرابع ورمسيس الأول والثانى والثالث ، وسيتى الاول . ممن شيدوا القصور والمعابد التى لايزال بعضها رمزاً لأعظم حضارة وأقدمها .

فمعابد الكرنك ش ٢ و٣ ، وأبى دوس ، والأقصر ش ٤ ،



(ش ٧) المعبد الصغير أعلى معبد حاتور بدندره

والقرنة ، ومدينة جالو ، والدير البحرى ش ٥ ، وأبو سنبل ش ٦ ، وفيلا ش ٧ ، ودندرة ش ٨ ، وجرف حسين ، كل هذه مشيدات لم تغالب الدهر فحسب ، بل تحدث كل ماجاء بعدها عن مظاهر الأبهة والمدنية ، ولا تزال إلى اليوم رمزاً خالداً يوحى بالعظمة والجلال . لو كان لشعب غير الشعب المصرى لواصل الليل بالنهار للعود بالمجد التالد إلى عالم الوجود

ومهما يكن من شىء ، فأنى لم أف الموضوع حقه من العناية فى سطور ضئيلة قد لاتكفى إلا لاعطاء فكرة شاملة عن المعابد المصرية إجمالا ، غير أن هذا لايمنع من التنويه بوجوب معرفتنا لآثار بلادنا ، تمهيداً لايصال الحاضر بالماضى ، حتى نكون قد أدينا رسالتنا نحو أنفسنا ونحن الوطن ، ونكون قد لمسنا بعض ما ببلادنا من نواحى ووجوه للتثقيف والاستمتاع ، التفت إليها الأجانب قبل أبناء مصر

أحمد موسى

البريد الأدبي

الصحافة المصرية فى معرض باريس

أذاع مندوب مصر العام فى معرض باريس بيانا قال فيه «إنه لما كانت مصر ستشترك هذا العام فى معرض باريس الدولى. ولما كان يحرص على أن يكون تمثيل مصر كاملا من جميع الوجوه، فانه لم ينس مكانة الصحافة المصرية كدعامة كبرى من دعائم رقى مصر الحديث، ولهذا فقد احتفظ لها بمكان فى القسم العام المخصص لمعرض الصحافة وإذا كان لنا أن نلاحظ على هذا البيان بشىء فهو أنه جاء متأخراً، وقد كان يحسن التفكير فى أمر الصحافة قبل ذلك كى تستطيع من جانبها أن تستعد للمثول فى المعرض بالصورة اللائقة بها. بيد أن الفرصة ما زالت قائمة على أى حال، ولا يزال بيننا وبين افتتاح المعرض زهاء شهرين؛ وهذه فرصة حسنة لتعريف أمم العالم بالخطوات الباهرة التى استطاعت الصحافة المصرية الفتية أن تخطوها فى العهد الأخير، خصوصا وأن التبادل الصحفى بيننا وبين الأمم الغربية يكاد يكون معدوما من الناحية المصرية، لأن اللغة العربية ليست من اللغات التى يعنى بها فى مكاتب الصحافة الأوربية، وبينما تبذل صحافتنا جهودا متواصلة لتقف قراءها على سير التطورات والحوادث الأوربية، وعلى أقوال الصحف الخارجية بصورة سخية واضحة إذا بالصحافة الأوربية لا تكاد تذكر عن مصر وأحوالها شيئا مستقى من مصادره الأصيلة اللهم إلا ما يبعث به إليها مراسلوها من وقت لآخر؛ فعلى صحافتنا أن تستعد لانتهاز هذه الفرصة للمثول إلى جانب الصحافات الغربية الكبرى، والتعريف عن نفسها وعن مكانتها، ويجب عليها أن تنتهز الفرصة لتوثق روابطها مع دوائر الصحافة الغربية بصورة تلفت النظر إليها، وفى أهميتها باعتبارها مصدراً لأخبار مصر والأمم الشرقية ومرآة صادقة لتطوراتها وأحوالها يحسن الاعتماد عليها من جانب الصحافة الغربية والانتفاع بمعاونتها وجهودها

كتاب ألمانى جديد عن مصر الفرعونية

ما زالت حضارة مصر القديمة تثير دهشة العالم وطلعته وتحفز العلماء والمنقبين إلى مضاعفة الجهود فى سبيل الكشف عن حقائق تلك الحضارة العجيبة وأسرارها. ولعل حضارة من الحضارات العالمية الخالدة لم تظفر بمثل ما ظفرت به حضارة الفراعنة من البحوث والتآليف الجليلة، ففى كل عام تصدر عنها سلسلة حافلة من الكتب فى مختلف أقطار الأرض. وقد صدر منذ أسابيع قلائل كتاب جديد بالألمانية عن حضارة مصر القديمة عنوانه «العالم من وادى النيل صور من مصر القديمة» Die Welt am NilBilder aus dem alten Agypten بقلم أدولف ايرمان A. Erman والدكتور ايرمان من أشهر علماء ألمانيا الأثريين، وهو اليوم فى الثمانين من عمره وقد أنفق معظم حياته فى المباحث المصرية القديمة ولا سيما قراءة أوراق البردى وحل رموزها وأودع كتابه الجديد الذى وضعه فى مغرب حياته خلاصة جهود علمية وفنية شاقة. ويقدم إلينا ايرمان فى كتابه عرضاً وافيا لأحوال مصر الفرعونية الجغرافية والتاريخية والثقافية؛ ويبدى دهشته من أن هذه الأرض الفياضة بكنوز الفن القديم والمدنية القديمة لبثت منسية حتى نهاية القرن الثامن عشر؛ ولولا نابليون وحملته لبقيت عصراً آخر فى غمارها المجهولة، ويستعرض ايرمان جهود العلماء الأثريين خلال القرن التاسع عشر وما كشفت مباحثهم من الحقائق الجليلة عن حضارة مصر الفرعونية وعن تاريخها المجيد، وعن آثارها وكنوزها المدهشة، ويعنى ايرمان بنوع خاص بالنواحى العقلية والاجتماعية لمجتمعات مصر الفرعونية، ويحاول أن يصور لنا هذه المجتمعات فى حياتها المنزلية والاجتماعية والدينية، وفى طقوسها ورسومها وتفكيرها، وفى سائر نواحى حياتها المادية والروحية كما يصور لنا الملوكية المصرية القديمة فى مواكبها وفى روعتها، فى عصور الحرية. وفى عصور السلام

ويعتبر كتاب ايرمان من الوجهة العلمية ثروة جديدة فى تراث المكتبة المصرية الفرعونية

مجموعة ثمينة من رسائل جيته

تحتفظ مدينة فيجساك الألمانية الواقعة على نهر ويزر بمجموعة ثمينة . من رسائل الشاعر الألماني الأكبر جيته كتبها بخطه ، وأرسلها جميعاً إلى صديقه نيقولا ماير من أهل مدينة بريمن ، وكان ماير قد زار فى شبابه مدينة ـ فينا ودرس فى جامعتها ، وزار الشاعر مراراً فى مقامه فى فيمار ، وعقدت بينهما أواصر صداقة متينة استطالت زهاء ثلاثين عاماً ، واستمرت مراسلاتهما بانتظام إلى ما قبل وفاة الشاعر بنحو عامين فقط ، وهذه المجموعة مما كتب جيته إلى صديقه تبلغ وحدها خمسين رسالة ، تحتفظ بها مدينة فيجساك فى متحفها الصغير ، وهناك مجموعة أخرى من الرسائل أرسلها ماير إلى زوجه وولده ، وكانت هذه الرسائل تحفظ منذ مدة طويلة فى مكتبة شتراسبورج ، ولما كان يهم ألمانيا أن تجمع هذه المراسلات كلها فى مجموعة واحدة ، فقد بذلت على يد سفيرها لدى الحكومة الفرنسية السعى اللازم لاستعارة رسائل ماير من شتراسبورج وكلل سعيها بالنجاح أخيراً ، وحملت الرسائل إلى متحف فيجساك

معرض لتاريخ الدخان

مذ عرفت شجرة الدخان في سنة ١٥٥٠ على يد طبيب ومكتشف أسبانى يدعى ريكارد وديلافونتى ، حمله إلى أسبانيا مع النارجيلة التى كان يدخنه فيها الهنود يومئذ ، وأمم العالم كلها مقبلة على تدخينه ، واليوم يدخنه الشرق والغرب والشمال والجنوب والشبان والشيب ، والرجال والنساء ، ويرون فيه جميعاً وسيلة للترويح عن النفس ومطاردة الهموم . وقد أقيم أخيراً فى باريس معرض شرح فيه تاريخ الدخان منذ اكتشافه إلى يومنا ، وهو معرض « جاليبرا » ويضم المعرض المذكور فى واجهاته الزجاجية طائفة كبيرة من الغلايين المصنوعة من مختلف المواد فى مختلف العصور ، وبعضها محلى بالذهب ، مما كان يملكه بعض الملوك ، ومشاهير السادة ، وكذلك مجموعة مختلفة من العلب التى يوضع فيها الدخان ، وتشكيلة عظيمة من مختلف السجائر فى مختلف أنحاء العالم .

جيل نموذجي فى ألمانيا الهتلرية

إن فكرة النسل المختار التى يدعيها ويدعو إليها زعماء ألمانيا النازية لم تعد فقط فكرة نظرية ، بل خرجت إلى طور التطبيق العملى ، فقد رأت ألمانيا الهتلرية أن تنشىء بالفعل جيلا نموذجياً من الناس ، وتحقيقا لهذه الغاية أنشأت فى مدينة يوناس دورف من أعمال باوتسن فى سكسونيا مستعمرة خاصة بالشبان الراغبين فى الزواج من أعضاء فرق الحرس الأسود ، ومن المعروف أن هذه الفرق تضم الشبان الأقوياء الذين يمتازون ببسطة الجسم وحسن التكوين والملامح ، ومن الجهة الأخرى فقد رؤى أن ينشأ فى نفس الوقت معسكر للبنات النموذجيات اللائى يصلحن لكن زوجات لهؤلاء الشبان فأنشىء فى يوناس دورف مستعمرة من مائتين وخمسين فتاة يشترط فيمن تنتظم فيها أن تكون من الآريات الخلص وان تثبت أن الدم اليهودى لم يتسلل إلى أسرتها حتى سنة ١٨٠٠ ، ويوقع على الراغبات خمسة كشوف طبية متعاقبة للتحقق من سلامتهن وصلاحيتهن للنسل السليم . كذلك يمتحن كل من الفريقين فى مبادىء الحزب الفكرى ومراميه السياسية والاجتماعية ، ويزول أولئك الشابات والألعاب الرياضية المجهدة ويدربن على الأعمال المنزلية وشؤون الأمومة تدريبا حسنا ، ويراعى فى اختيارهن التناسب فى الجسم بينهن وبين الشبان الذين يتقدمون لخطبتهن . والمفهوم أن ولاة الأمر فى ألمانيا الهتلرية يفكرون فى مضاعفة هذه المستعمرات تدريجيا ، تحقيقا لمشروعهم فى ترقية النسل والجيل

احياء ذكرى حافظ ابراهيم فى دار الأوبرا

الآن والرسالة تتهيأ للصدور تقيم لجنة إحياء ذكرى حافظ ابراهيم حفلتها الأولى بدار الأوبرا الملكية في الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ بعد ظهر يوم السبت ٦ مارس سنة ١٩٣٧ تحت رعاية صاحب الجلالة الملك ورياسة صاحب المعالى وزير المعارف وهذا برنامج الحفلة

قرآن كريم الشيخ محمد الصيفى

كلمة الافتتاح لحضرة صاحب المعالى وزير المعارف

١ — حياة حافظ : للأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه
٢ — قصيدة : للأستاذ أحمد الزين
٣ — الاجتماعيات فى شعر حافظ : للأستاذ أحمد أمين
٤ — قصيدة : للأستاذ أحمد الكاشف
٥ — أثر حافظ فى القومية : للأستاذ أمين الغريب
٦ — قصيدة : للأستاذ حسين شفيق المصرى
٧ — الغزل والنسيب فى شعر حافظ : للأستاذ السباعى بيومى
٨ — قصيدة : للأستاذ حليم دموس الشاعر اللبنانى
٩ — شكوى الزمان : للأستاذ حفنى بك محمود
١٠ — قصيدة : للأستاذ خليل مطران بك
١١ — حافظ والنقد : للدكتور زكى مبارك
١٢ — قصيدة : للشاعر على محمود طه المهندس
١٣ — حافظ الكاتب : للأستاذ عباس محمود العقاد
١٤ — قصيدة : للأستاذ محمد الأسمر
١٥ — حافظ فى السودان : للدكتور سعيد كنعان
١٦ — ذكريات شخصية : للاستاذ السيد محمد كرد على بك
١٧ — قصيدة للاستاذ محمد الهراوى
١٨ — الوصف فى شعر حافظ : للدكتور عبد الوهاب عزام
١٩ — حافظ العروبة : للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٢٠ — قصيدة للأديب محمود حسن اسماعيل
٢١ — السياسات فى شعر حافظ : للاستاذ عبد المجيد نافع

***

الحفلة الثانية

وهذا برنامج الحفلة الثانية التى تقام فى الساعة ٤٥ : ٣ بعد ظهر يوم الأحد ٧ مارس فى دار الأوبرا الملكية .

قرآن كريم الشيخ محمد الصيفى

١ — حافظ واللغة : للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٢ — قصيدة : للدكتور ابراهيم ناجى
٣ — الوطنيات : للدكتور محمد حسين هيكل بك
٤ — قصيدة : للاستاذ احمد محرم يلقيها عبد القادر المسيرى
٥ — شخصية حافظ وفكاهاته : للاستاذ الشيخ عبد العزيز البشرى
٦ — قصيدة : للاستاذ بشارة الخورى شاعر لبنان
٧ — لمحة عن حافظ الشاعر : للاستاذ فؤاد صروف
٨ — قصيدة : للاستاذ أمين ناصر الدين الشاعر اللبنانى
٩ — مزايا شعر حافظ : للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف .
١٠ — قصيدة : للاستاذ أبى الاقبال اليعقوبى الشاعر الفلسطينى
١١ — حافظ الراوية : للاستاذ محمد هاشم عطيه
١٢ — المديح والرثاء والتهانى : للأستاذ محمود البشبيشى
١٣ — قصيدة : للأستاذ فليكس فارس
١٤ — قصيدة : للأستاذ عبد اللطيف النشار
١٥ — حافظ القصصى : للأستاذ محمود تيمور
١٦ — قصيدة : للأستاذ احمد الغزاوى شاعر الحجاز
١٧ — حافظ الصديق الوفى : للأستاذ محمد فريد وجدى
١٨ — قصيدة : للاستاذ عزيز بشاى
١٩ — قصيدة : للاستاذ محمد الشريقى شاعر شرق الأردن
٢٠ — حافظ شاعر الشرق : للاستاذ قدرى حافظ طوقان
٢١ — قصيدة : للاستاذ محمد سعيد العباسى الشاعر السودانى
٢٢ — مختارات لبعض الكتاب والشعراء فى مصر والشرق يلقيها الاستاذ ضياء الدين الريس .

الكتب

سبأ ومأرب

رحلة في بلاد العربية السعيدة

تأليف الأستاذ السيد نزيه المؤيد العظم

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

لقد قصر الأواخر عن الأوائل تقصيرا معيبا في وضع المدونات الجغرافية ووصف المسالك والممالك وصفا علميا مبنيا على ملاحظاتهم الخاصة وقائما على وجهة نظرهم ولا سيما وصف الأقطار التي يهمنا شأنها ولنا ارتباط بها خاص؛ ومن هذه الأقطار التي تكاد تكون غفلا من الذكر في مدوناتنا الحديثة القطر اليماني أو العربية السعيدة حتى صرنا إذا أردنا أن نلم بشيء من أخبارها وشؤونها اضطررنا إلى مراجعة ما دونه السياح الغربيون عنها أو إلى مؤلفات كتابنا من أهل القرون الوسطى. لذلك يعد هذا السفر الذي وضعه الرحالة الأستاذ نزيه المؤيد العظم تحفة ثمينة قد سدت ثغرة عظيمة في تاريخ نهضتنا الأدبية السياسية العلمية

والكتاب مكتوب بطريقة قصصية سهلة وبأسلوب سلس خال من التعقيد والتكلف يكاد من يقرأه يظن أن مؤلفه يحادثه وجها إلى وجه ولا سيما من عرف المؤلف معرفة شخصية وتعود سماع حديثه والطريقة التي يدلي حججه بها. وهو لم يبسط فيه أحوال اليمن بسطا حياديا مجردا بل يتحين الفرص ليدلي بآرائه الشخصية ونظرياته الدينية والاجتماعية ويشير من حين إلى آخر إلى أغراض الدول المستعمرة في تلك الأرجاء

ومما استوقف نظري كثيرا ملاحظة منه سبق لي أن تجرعت منها الصاب وأنا واقف على أسكلة عدن في أوائل سنة ١٩١٦، فقد حدث يومئذ أنني كنت قادما من الهند إلى مصر وكانت معنا في الباخرة سيدة انكليزية أرلندية ملمة ببعض الشئون السياسية فذكرت لها النهضة العربية وكيف أن العرب يعملون لأعادة مجدهم الغابر واستقلالهم المنشود، فلما رست باخرتنا على عدن رأيت خليطا من الغوغاء بألبسة قذرة وأصوات منكرة وحركات همجية مزرية يتقدمون إلينا على زوارق كبيرة لنقل البضائع، فصاح بعض الانجليز من على ظهر السفينة «عرب عرب» فجاءتني السيدة الانكليزية مستفسرة بشيء من التعجب: «هل هؤلاء هم العرب الذين يغارون على مجدهم السابق واستقلالهم المنشود»؟ فبينت لها خطأ التسمية من اطلاق اسم جزء خاص على كل عام وأن حفاة أرلنده - وكانت أرلندة يومئذ تتحفز للثورة - ليسوا كل الأرلنديين. قال الأستاذ نزيه في ملاحظته «ومما يؤسف له أن أكثرية الوطنيين العرب - في عدن - أصبحوا خداما للأجانب فلا يتعاطون من الأشغال إلا الدنيئة كالخدمة في المنازل وصيد السمك والحماقة ومسح الأحذية ونقل البضائع وخصوصا الفحم والغاز من السفن التجارية إلى البر؛ وكذلك في مصر من الفرنجة والمتفرنجين من يطلق كلمة «عرب» على هذه الطبقة من الناس

وفي الكتاب ملاحظات قيمة عن الزراعة في البلاد وخصب الأرض وخدمتها والطرق الابتدائية المستعملة في استنباتها وهو يقول أن محصولات اليمن تشمل البن والتنباك والقطن، وذكر لي أن جلالة الامام استحضر من مصر بزر (السكلاريدس) فنجح هناك نجاحا ظاهرا

ومن أغرب ما جاء في هذا الكتاب مما يخالف المألوف ولا ندري أم سيبا أن تضع الحكومة المتوكلية مكسا أو رسما جمركيا اثنين ونصفا في المائة على الصادرات ولا تضع شيئا على الواردات (ص ٣٧)

وان تعجب فعجب أن تكون اليمن وهي موطن أفخر البن لا تشرب القهوة المعمولة من ثمره وإنما تشرب مغلي قشره مما يذكرني ببلاد النمسا فهي تصنع أفخر الطرابيش لا ليلبسها النمسويون بل لتصديرها إلى بلاد الشرق. واليمنيون إذا أرادوا إكرام ضيوفهم بهذا المغلي سألوهم أتتقشرون أي أتريدون أن تشربوا القشر على قولنا أتتفكهون

وقد عرفنا قديما ان نساء اليمن في الارياف يلبسن القبعات القش ولكن المؤلف رآهن في حفلة عرس سافرات «وبعضهن كن عاريات الا من مئزر بسيط، وبعضهن كن لابسات أكماما قصيرة - ديكولتيه - وبعضهن وضعن على رؤوسهن حجابا أسود، وبعضهن وضعن فوق هذا الحجاب قبعة مصنوعة من قش القمح أو الشعير ذات حجم كبير لترد أشعة شمس تهامة المحرقة وهي من صنعهن، وقد علمتهن الحاجة التي هي أم الاختراع الا يتقيدن بعادة وقانون بل يلبسن ما يوافق محيطهن واحتياجهن»

ويخيل الى من يقرأ هذا الكتاب أن البلاد تحت نوع من الأحكام العرفية أو ان أهاليها في مدرسة ليلية أو في سجن اصلاحي لأن السير في طرقاتها من بعد ساعة معينة من الليل محظور، فقد جاء في الصفحة ٤٩ «وفي هذه الساعة الرهيبة - يعني بعد تناول العشاء - لا يسمع المرء في بلاد اليمن من اقصاها الى أقصاها الا نداء الجنود في ثكناتهم وقلاعهم

وحصونهم (وامتوكلاه) - على طريقة بادشاهم جوق ياشا فى الدولة العثمانية - وبعدئذ يضرب بوق النوم فيذهب جميع أهل المدن الى النوم ويصبح الخروج من المنازل الى الأزقة والشوارع محظوراً على الجميع عدا الجند.

واعجبنى جد اعجاب الغاء الرق فى بلاد اليمن ومنع الاتجار بالعبيد فلم يجد المؤلف لهذا الوضع أثراً فى تلك الانحاء بل قال فى الصفحة ٥٠ « ان الامام حفظه الله منع هذه التجارة منذ تولى الحكم ، وكان عنده عبد يدعى صمصام فاعتقه لوجه الله وزوجه من فتاة كانت فى خدمته ووظفه فى احدى الوظائف »

وكل كتاب عن اليمن لا يذكر النبات المخدر الذى يدعى (قاتا) لا يكون مستوفيا للشروط ، فالقات عند اليمنيين لا يقل شأنا عن الوسكى عند الانكليز والبوزه عند السودانيين ، وهو له مجالس خاصة ينهمك المجتمعون فيها بمضغه ، وأمام كل واحد منهم رزمة كبيرة منه والى جانبها إبريق من فخار ومبصقة من فضة ؛ أما الابريق فيستعملونه لغرغرة أفواههم من حين الى آخر ، وأما المبصقة فلطرح أوراق القات بعد مضغه . ويدوم هذا المجلس من بعد الغداء حتى المساء ، ويسمى هذا النبات بالانكليزية (كاتا أديوس) وفيه مادة مخدرة تؤثر فى الأعصاب فيشعر من يمضغه براحة وبسط وانشراح

ثم ذكر الاستاذ نزيه أضراره فقال « انه يقلل من شهية الانسان للطعام ويزيد فيه الميل الى شرب الماء ويضر بالأسنان ويسودها ، وبالمعدة فيقلل من عصيرها وبالنسل فيضعفه . وبالرغم من جميع هذه المضار وبالرغم من علم أهل اليمن بها فهم يمتدحونه وينشدون القصائد فى مزاياه ويستعملونه باجمعهم ماعدا صاحب الجلالة الامام يحيى فقد منعه طبيبه الخاص من استعماله منذ عدة سنوات ولا يزال جلالته ممتنعا عنه الى اليوم »

ومن دواعى الأسف ان يضيع اليمنيون ثروتهم وصحتهم فى هذا المخدر الضار حتى ان الذى يشتغل منهم فى نهاره كله بفرنك واحد يصرف معظمه على القات . ويغرس شجره كما يغرس البن فى الأودية المرتفعة التى لا تتعرض لحرارة الشمس الحادة الا بضع ساعات فى اليوم ، وهو أثمن نبات فى اليمن على الاطلاق ؛ وتساوى الرزمة الصغيرة من أغصانه نحو ثلاثة فرنكات

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ما لحظناه من وجود إيطاليين موظفين فى الحكومة المتوكلية من أطباء وغيرهم فالأطباء الموجودون هناك الآن من الطليان وقد أتوا الى اليمن عقب زيارة والى اسمرة السنيور غاسبرينى اليها وعقد المعاهدة مع الامام وهم يتناولون رواتب تبلغ ستين جنيها شهريا للواحد منهم وبيدهم مستشفى الحديدة ومستشفى صنعاء وكذلك التلغراف اللاسلكى فى صنعاء فهو بيدهم ومن تأسيسهم بأمر الامام منذ بضعة أعوام .

وذكر حاخام اليهود الاكبر فى صنعاء واسمه يحيى اسحق للمؤلف أنه كان لليهود مملكة عظيمة فى اليمن إلى الشرق من صنعاء أسسها سليمان بن داود وربما كانت هذه المملكة فى نجران وأن اليهود فى صنعاء ذكوراً وأناثا يبلغون زهاء عشرين ألف نسمة لهم ١٥ مدرسة و ١٩ كنيسا وهم يمارسون شعائرهم الدينية كما يشتهون ويطبقون شريعتهم الموسوية كما يرغبون ويعلمون أبناءهم العبرية دون العربية . وعرف المؤلف أن للصهيونيين مخابرات طويلة عريضة مع صنعاء وأن لهم صناديق للاعانة فى كل دار من دور اليهود فى معظم مدن اليمن والاسرائيلى الذى يريد أن يتصدق بشىء مهما كان زهيداً يضعه فى هذا الصندوق ، ورب الدار ليس مأذوناً بفتحه بل يفتحه وكيل الجمعية فى كل شهر ويخرج ما فيه ويرسله الى صندوق الجمعية الصهيونية فى القدس واسمه صندوق الأمة ، قال المؤلف : « حبذا لو كان زعماء الحركة الوطنية فى الشرق يقتدون باليهود ويأخذون هذا الدرس عنهم »

هذه لمحة مستعجلة عن الجزء الأول من هذه الرحلة المباركة ولكن العمل الخطير والاكتشاف الأثرى العظيم هو فى الجزء الثانى حيث يدون المؤلف رحلته إلى بلاد سبأ وسد مارب فيذكر كيف حصل على الاذن من جلالة الامام بالسفر الى تلك الانحاء المحفوفة بالمهالك والمخاطر ويذكر الجنود الذين ساروا لحمايته من التعدى مما لم يسبق له مثيل ولم يحصل عليه أحد قبله . وكانت بداءة هذه الرحلة الى مأرب فى اليوم السادس والعشرين من يناير سنة ١٩٣٦ إذ ترك صنعاء وسار مشرقاً فدخل فى واد يدعى (وادى السر) ومنه سار إلى قرية (القمعة) فقرية (آل الوزير) فوادى (حريب) فصرواح فقرية تدعى محترجة وهى آخر قرية يسكنها اليهود فى شرق صنعاء وهكذا حتى وصل إلى سد مأرب ؛ ووصف ما رأى فى طريقه من آثار ومعادن ونباتات وأشجار فقال عن المعادن مثلا والحديد منجملتها انها كثيرة ومتنوعة ، ونقل الكتابة الحجرية الموجودة حول جدران قصر (صرواح) بخط يده وعرضها على من ترجمها له من المستشرقين الألمان ومن الاخصائيين المصريين فى القاهرة وكان وصوله إلى مأرب فى اليوم التاسع والعشرين من يناير سنة ١٩٣٧ بعد الظهر أى بقى على الطريق نحو أربعة أيام كأن المسافة كلها بين صنعاء ومارب ١٢٠ كيلو متراً ، ولما وصل الى مدينة مأرب هو وعامل الامام يحيى والجنود استقبلهم الاهلون بالطبول والأناشيد . وبعد ذلك نرى فى الكتب صوراً ثمينة للسد وجدرانه القائمة وأبوابه الواسعة والخطوط الموجودة على أحجاره وصفاً دقيقاً لمجارى المياه وكيف تتجمع وتتوزع ومن أين تأتى ، والجنتان اللتان كانتا تشربان منه والأشجار الباقية من خمط وسدر وأثل مما ينطبق كل الانطباق على ما ورد فى القرآن الكريم

وقصارى القول ان هذه الجولة الأثرية فى بلاد مجهولة عندنا هى ذات قيمة علمية من الطراز الأول يهنأ عليها الاستاذ نزيه المؤيد العظم ولا سيما أن بعض الأوربيين الذين وصلوا الى تلك الارجاء لم يتمكنوا من رؤية جزء صغير مما رآه سائحنا العربى بالنظر الى المخاوف التى كانوا معرضين لها ؛ ونعد عمله بادرة من بوادر نهضتنا العلمية العملية المباركة

عبد الرحمن شهبندر

العالم المسرحي والسينمائي

على مسرح الاوبرا الملكى

صورة فى الرخام
Portrait in Marble

لناقد « الرسالة » الفنى

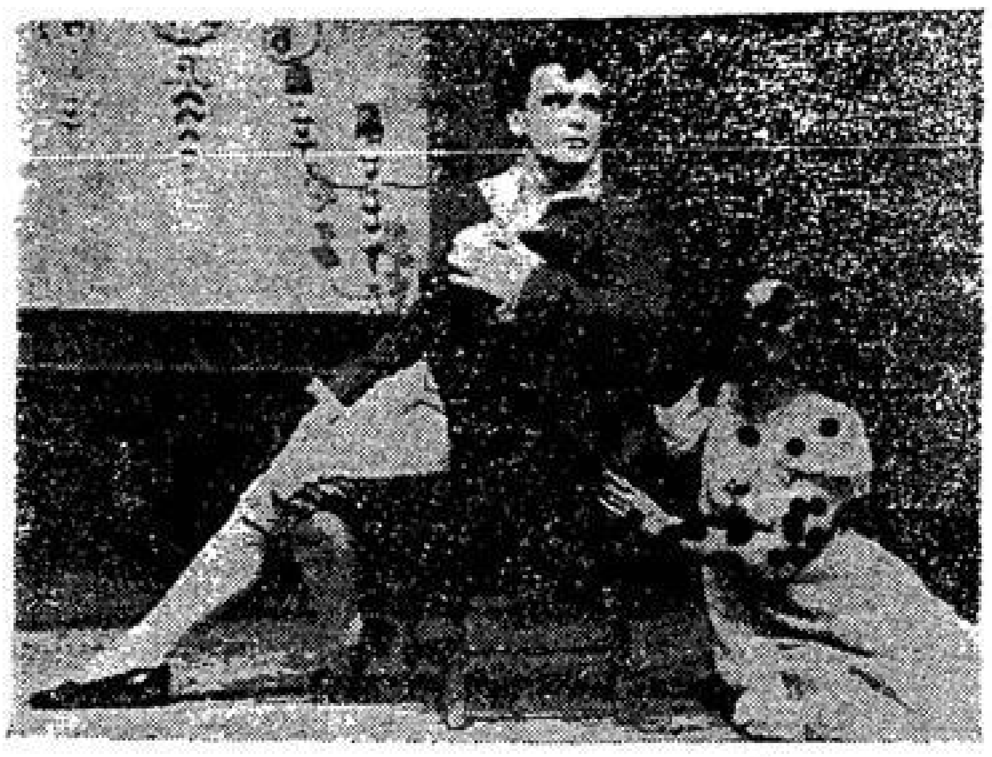
هى باكورة أعمال الآنسة « هازل اليس » الممثلة الايرلندية تنبئ عن مستقبل باهر واستعداد طيب للنبوغ وليست القصة فى المستوى العالى من التأليف ولكن حوارها قوى بديع يدل على أن الكاتبة تلم بأمور المسرح إلماما تاما وإن كانت بعض الشخصيات غير كاملة التصوير لأن الكاتبة لم تترك إلى جانب شخصية اللورد بيرون فراغا تكتمل فيه الشخصيات الأخرى

والقصة التمثيلية تصور حياة اللورد بيرون الشاعر الانجليزى العظيم بين النساء وتشرح بعض نزواته وأخلاقه ونظرته فى الحياة وما أحاط باسمه من إشاعات لم يكن يبالى بدفعها عنه بل يترك الأمور تتفاقم حتى يجرى اسمه على كل لسان؛ كما تصور حبه لبلاد اليونان التى مات محموماً أثناء الدفاع عن حريتها

موجز القصة

اللورد بيرون ثائر ساخط متبرم بكل شىء لا يعبأ بأحد وأصدقاؤه فى بيته يتحدثون عن تصرفاته مع العظماء، فهذا رئيس مجلس اللوردات يأتيه راجيا أن يكتب فيه بيتين من الشعر فى عمل مجيد أداه فيرده خائبا لأنه يرى أن الانسان لا يستحق المديح على واجب أداه . ويدخل بيرون ويتحدث عن حياته ويقول إنه سوف يجعل اسمه يجرى على كل لسان ويحدث أصدقاءه عن بلاد اليونان وعن حبه لها وألمه لأنها لا تتمتع بحريتها . وما يكاد يتم أقواله حتى تأتيه رسالة بموت أحب أصدقائه إلى نفسه فيصدم وينفجر مقهقها

فاذا كان المنظر الثانى رأينا حفلة راقصة يغشاها أشهر النساء وأجملهن ويجيء بيرون متأخرا قليلا ويعتذر، وإذ يقف بعيدا إلى جانب الباب تقدم ربة الدار ضيوفها إليه فيذهب النساء إليه فى مكانه كأنه ملك . هذا التصرف يغيظ السيدة « كارولين لامب » التى ما تكاد تتقدم إليه حتى ترتد راجعة فيفهم بيرون كبرياءها ويهمس فى أذن إحدى صديقاته بأن سيجعل هذه السيدة تركع عند قدميه قبل انقضاء يوم واحد



« ميكائيل ماكليمور » في دور اللورد بيرون و « ميريل مور » فى دور كارولين لامب

ويدخل الجميع يستمتعون بالرقص عدا الليدى كارولين ويعود بيرون إلى القاعة وتدور مناقشة حادة بين الاثنين؛ وهنا تبرز قوة الكاتبة موهبتها فى الحوار وتنتقل من موضوع إلى موضوع، وفجأة يطوقها بيرون بذراعيه ويقبلها فلا تمانع وهكذا يبدأ حب هذه السيدة لبيرون وهو فى الحقيقة لا يحفل بها!!

فاذا كان الفصل الثانى رأينا أصدقاء بيرون فى بيته يتحدثون عن سلوكه غير المرضى فهو جعل السيدة « كارولين لامب » تجن به حبا وتجرى وراءه، ويرى أحدهم أن الذنب ليس ذنبه فهو قد قطع كل علاقة بها ولكنها تلاحقه فى الطرقات . ويجيء بيرون فيحدثونه فى أمر هذه السيدة فيقول إنه أرسل إليها خطابا يقطع كل علاقة له بها ويخبرهم أنه نوى الزواج بالآنسة « أنا بل ميلبانك » فيسأله صديق عما إذا كان يحبها فيقول: « ليس حبا عميقا »

ويجيء الخادم يعلن أن سيدة تصر على مقابلة اللورد فيرفض أن يستقبلها ولكن أمام الالحاح يخرج إليها ويعود بعد لحظة يرجو أصدقاءه أن ينتظروه فى غرفة مجاورة حتى يفرغ من حديثه مع هذه السيدة . وتدخل كارولين لامب وتحاول أن تعيده إليها فيرفض ويصرح لها بأنه ينوى أن يتزوج من الآنسة « ميلبانك » ويطلب إليها أن تذهب إلى بيتها فلا تتحرك وإذ هو يستدعى الخادم ليحضر لها عربة تهجم عليه تريد أن تطعنه بخنجر ولكنه يتمكن من أن يمسك يدها ويثور فيقدم الخادم والأصدقاء

وفى المنظر الثانى نرى زوجة بيرون تشكو إلى صديقة لها سلوك زوجها وأنها تنوى الانفصال عنه فتنصحها هذه بالتريث من أجل

ابنتها وأن عملا كهذا يهدم حياة الشاعر العظيم ويقضى عليه ، وتصرح الزوجة بأنها سمعت أشاعة مخزية عن علاقة اللورد بيرون باخته « أوجستا » ولكن الصديقة تتمكن من تبديد شكوك الزوجة ويدخل بيرون ، وسرعان مايقوم الشجار بينه وبين زوجه ، فنراها تبكى وتنتحب فيتأثر ويتقدم إليها مدللا وبعد قليل يراجع البريد وتستوقفه رسالة من شقيقته ويخبر زوجه أنها تنوى القدوم اليهما لقضاء بضعة أسابيع فتثور الغيرة فى نفس الزوجة وتطلب منه أن يرفض قبولها فى بيته فيحاول أن يعرف السبب فتمتنع أولا ولكنها تشير فى النهاية إلى الاشاعة التى تتردد على الألسنة وتطلب إليه أن يكذب هذه الاشاعة فتصدقه . وكعادته يرفض ويجيب بأنه ليس فى حاجة إلى تصديقها فتريد الاطلاع على الخطاب فيرفض فتحاول أن تختطفه فيصرخ فى وجهها ويحرق الخطاب ويلقيه فى المدفأة .

فاذا كان الفصل الثالث رأينا بيرون واقفا إلى جانب النافذة يرى الجماهير محتشدة أمام بيته ثائرة ويشير عليه أحد أصدقائه بالابتعاد عن النافذة حتى لا تصيبه أحجار الغوغاء . ويبدى بيرون عجبه من الشعب فهو لم يؤذه ولم يسىء إليه ومع ذلك يريد هذا الشعب أن يفتك به . ويطلب بيرون إلى الخادم أن يحمل رسالة إلى زوجته فى بيت والدها ويذهب الخادم ويجىء أصدقاء بيرون ويقولون أنهم شقوا طريقهم وسط كتل بشرية ويحدثهم بيرون بأن بلاده هى اليونان ويتحدث عن جمالها وعن آماله فى أن تثور وتحطم القيود التى تغلها . ويجىء الخادم يقول أن الزوجة رفضت أن تجيب على الرسالة وأنها تطلب من بيرون ألا يحاول مقابلتها أو الكتابة إليها فيصدم بيرون وتسمع بعد قليل أصوات باعة الصحف ويعرف بيرون من خادمه أن اليونان ثارت على تركيا مطالبة بحريتها .

وفى المنظر الثانى من الفصل الثالث نرى بيرون فى بيته يستعد للرحيل ويأتى أصدقاؤه فيخبرهم بأنه سيسافر إلى اليونان متطوعا ليحارب فى صفوفهم ويتركهم إلى تلك البلاد التى أحبها والتى قضى نحبه محموماً أثناء الدفاع عن حريتها .

الإخراج والتمثيل

لم يعمد المخرج فى هذه الرواية إلى الطريقة الايحائية التى ألفناها منه بل عمد إلى تركيز إخراجه فى منظر واحد وجعل أجزاء من حوائط هذا المنظر تتبدل فيتبدل المنظر بها ، وهكذا استطاع أن يخلق من المنظر الواحد مناظر متعددة . والاضاءة كانت غاية فى الدقة والروعة ولون المنظر أزرق داكن يلتئم مع جو الرواية

مثل المستر ميكائيل ماك ليمور اللورد بيرون فسما به وكان بديعا جدا ، وإنى أعد هذا الدور من خير أدواره التى رأيتها خلال هذا الموسم والموسم الماضى ولقد شاهدت كثيرا من الانجليز يهنئون الممثل على إجادته ، وبين هؤلاء المستر سكيف الأستاذ بالجامعة المصرية فقد كان إعجابه بالتمثيل أكثر من إعجابه بالرواية نفسها . ومثلت الآنسة « ميريل مور » السيدة كارولين لامب فأدته بنجاح ، ووفق بقية الممثلين فى تأدية أدوارهم وهكذا رفع التمثيل والاخراج هذه الرواية .



آنيو ماك ماستر فى دور شارلز سيرفيس فى رواية مدرسة الفضائح

مدرسة الفضائح The School For Scandel

ريتشرد برينسلى شريدان وأوليفر جولد سمث من اعلام الكوميدى الانجليزى القديم وقد رأت فرقة دبلن جيت ان تخرج هذه الرواية لأن مؤلفها ايرلندى ولأنها من أحب الروايات الى شعب الامبراطورية . فهى تصور ناحية من نواحى المجتمع الانجليزى فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر وكيف كانت المجتمعات بؤرا تفرخ فيها الاشاعات . وتنتشر على الألسنة وكيف كانت المخازى والفضائح تدبر وكيف كان الناس يخدعون بالظواهر فالرجل الذى يرون فى سلوكه مالا يرضيهم يعد شقيا سىء السلوك فى حين ان من يأتى النقائص فى الخفاء يكون موضع التجلة والاكبار ، فالشعب كان يخدع ويحكم على الأمور بظواهرها

والرواية ليست جديدة على المصريين إذ سبق للسرح المصرى ان أخرجها باسم « مدرسة النميمة » فى مستهل النهضة المسرحية فلاقت نجاحا كبيرا . وأعتقد ان مثل هذه الرواية التى تقوم على المفاجئات والمواقف الكوميدية يفسدها التلخيص ويمسخها

أخرج الرواية المستر ادواردز وقام بدور بيتر تيزل فكان خفيف الظل عذب الروح مما جعل رواد المسرح يضجون بالضحك ؛ ومثل المستر ماك ماستر دور شارلز سيرفيس فملأ الشخصية حياة وكان بديعا فى أكثر مواقفه كما أجادت الآنسة « آن كلارك » دور لادى تيزل

يوسف تادرس